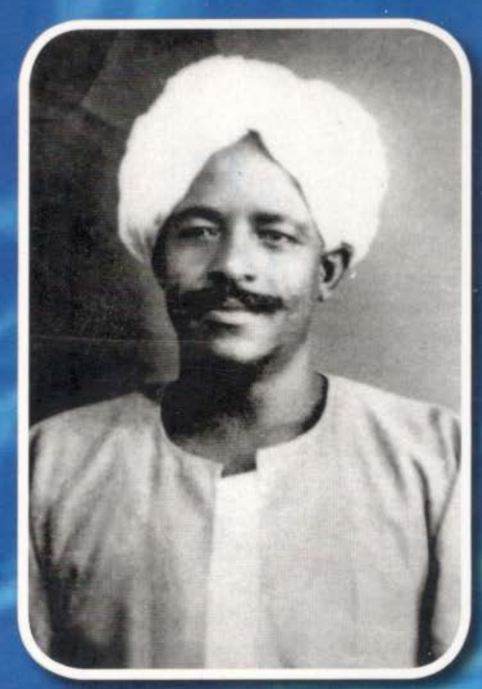
يوميات



الشيخ/ عبد الله حمد

(رحمه الله)

في رحلته إلى القدس الشريف

عام ١٩٣٦م



المؤلف في سطور

المرحوم / عبدالله حمد

- ولـد المؤلـف سـنة ١٨٩٥م وقـرأ القـرآن عـلي يـد الفقيـه إبراهيـم القـاضي بأمدرمـان .
- بدأ حياته العملية تاجراً بمدينة الأبيض .
- وقـرأ الفقـه عـلى يـد الشـيخ الطيـب أبـو قنايـة وغـيره مـن علـماء ذلـك العهـد كـما بـدأ تعلـم النحـو والـصرف وحـاول تعلـم اللغـة الإنجليزيـة وكان شـغوفاً بالاطـلاع و مجالسـة العلـماء وكان متجـره مـكان اجتـماع الصفـوة مـن الأسـاتذة والمعلمـين .
- سـاهم في الصحافـة السـودانية كالحضـارة والنهضـه والسـودان بالكتابـة في الشـؤن الدينيـة و الاجتماعيـة والأخلاقيـة وكانـت لـه جـولات مشـهورة ضـد البـدع التـي تحـدث أيـام الاحتفـالات بالمولـد النبـوي .
- كان رئيسـاً لجماعـة أنصـار السـنة المحمديـة و وضـع دسـتورها الأول وعمـل عـلى تقدمهـا و إزدهارهـا حتـى أصبـح لهـا شـأن يذكـر.
- كان مؤسساً وعضواً بارزاً في جماعة المحافظة على القرآن .
- شارك في قيام جماعة الدستور الإسلامي.
- له القدح المعلى في إنشاء جامع جوبا.
- شـارك في جميـع لجـان ترقيـة و نهـوض المعهـد العلمـي بأمدرمـان والدفـاع عنـه و تطويـره والعنايـة بشـئون طلبتـه ورفـع مسـتواهم العلمـي والمـادي.
- توفي إلى رحمة مولاه في فبراير عام ١٩٦٣م بأمدرمان.

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة
توزيع مركز عبد الكريم ميرغني

ردمك: 6-201-4-99942-978

يوميـــــات

الشيخ/ عبد الله حمد
(رحمه الله)

في رحلته إلى القدس الشريف

عام ١٩٣٦م



فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر – السودان

٩١٠,٩٢ عبد الله حمد محمد خير، ١٨٩٥ – ١٩٦٢.

ع ح. ي

يوميات الشيخ عبد الله حمد في رحلته إلى القدس الشريف عام ١٩٣٦/ عبد الله حمد محمد خير. – الخرطوم: ع. ح. محمد خير، ٢٠١٦م

١٠٠ ص ؛ ٢٤ سم

ردمك ٦- ٢٠١- ٤- ٩٩٩٤٢- ٩٧٨

١. عبد الله حمد محمد خير – الرحلات

٢. عبد الله حمد محمد خير – المذكرات

٣. القدس – وصف ورحلات. أ. العنوان

شركة مطابع السودان للعملة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :-

قال تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا). سورة الأحزاب آية (٢٣).

إن الكتابه عن الشيخ عبدالله حمد جد صعبة إذ أنه - رحمه الله - كان أمة وحده . ما من ناحية من نواحي الحياة إلا وله فيها سهم ومامن دعوة إلى خير إلا كان أسبق الناس إليها .

وصدق عليه قول الشاعر إدريس جماع :

وكنت حياة للذين عرفتهم ... ومازلت تحيا في نفوسهم الحري
وقومك في حب توليت أمرهم ... ولم تتسلط بل رأوك بهم برا
وكنت على الاقلال أندي لطارق ... وتحيا بإنسانية توثر الغيرا
ومابي أن أبدي لفضلك راثيا ... ففضلك أبقي من قصائده ذكرا

قلبه يفيض بالرحمة والإيمان لا يدخر وقتاً ولا مالاً ولا طاقة في سبيل رفعة الإسلام وإعلاء كلمة التوحيد ونشر فضائل الدين والدفاع عن الحق بالحجة الواضحة والكلمة الطيبة والدعوة الخالصة والعمل الرشيد .

يذود في حماس المؤمن عن حياض الدين الحنيف، يرد في قوة وحكمة أو ضار الجهل التي علقت بالعقيدة والعبادة.يناضل مستميتاً في سبيل كرامة المسلم وحقه في الحياة الفاضله التي يريدها له الإسلام .

لم يتردد لحظة في بذل وقته وماله لمساعدة الآخرين. لم يتقاعس ساعة واحدة عن العمل الجاد في سبيل الدعوة إلى الله رغم تفاقم العلة و اشتداد المرض و نصائح الأطباء له بالراحة و الخلود إلى السكون .

كان - رحمة الله - من أوائل المؤسسين لجماعة أنصار السنة المحمدية ودبج يراعه المؤمن " أهداف الجماعه و قانونها "وكان من أبرز العاملين نشاطاً وهمة

وأخلاقاً وتفانياً و وبذا تقلد باجماع الجميع رئاسة الجماعة من عام ١٩٥٠إلى عام ١٩٥٨ فقاد السفينة بمهارة فائقه وسط الأعاصير و الزوابع المرجفة .

تميز عهده بالنشاط الدافق والأعمال الكبار وبذل للدعوة أغلى إمكانيات حياته .
كان يحاضر اخوانه وأعوانه في الدعوة باذلاً لهم النصح موضحاً لهم طريق الخير حاثاً لهم على التمسك بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله علية وسلم .

ولقد صدرت هذه المحاضرات التي كان يلقيها في المساجد و في دور الجماعة في كتاب "احاديث الأمسيات " نسأل الله أن نوفق في إصدار طبعة جديدة منه .
ولقد كان الشيخ عبدالله حمد - رحمة الله عليه - شغوفاً بالعلم أينما وجده أخذه وكان يقول: (العلم صيد وكتابته قيد.) لذلك كان كلما قراء رأياً طريفاً أو فكرة نيرة أو حكمة أو موعظة دونها فى مفكرة خاصة يحتفظ بها ولقد صدرت هذه التدوينات في كتاب " مختارات عبد الله " .

أما هذا الكتاب الذي نقدم له فقد جاء في صورة مذكرات يومية خطها الشيخ عبدالله حمد واصفاً فيها رحلته من الخرطوم إلى القاهرة و منها إلى القدس الشريف.
بدأ هذه الرحلة يوم السبت الرابع عشر من شهر فبراير لعام ١٩٣٦ وفيها يصف وصفاً دقيقاً المحطات التي مر بها والناس الذين لقيهم والأماكن التي زارها مسجلاً رأيه فيما رأى و شاهد.وذلك لتعم الفائدة وليعلم الجميع أن الطريق آمن والسفر سهل والنفقة قليلة عسى أن يشجع ذلك من يقوم بهذه الرحلة ويكون للشيخ أجر الدال على الخير.

ولعل الله سخر لهذه اليوميات أن تصدر في هذا الوقت ليجد فيها القارئ صورة فلسطين في ذلك العهد قبل أن يعدو عليها ويستبيحها شذاذ الآفاق و تدفع لمن لا يستحقها. إن في صدق هذه اليوميات و المشاهدات مايبعث الأمل بفتح قريب .
نسال الله أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ويجعله صدقة جارية للشيخ عبدالله حمد ويجزي من تكفل بطباعة هذا السفرالجزاء الأوفى فهو ولي ذلك والقادر عليه.

١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥م

رحلة مصر

في الساعة ٨ من صباح يوم السبت ١٤ فبراير ١٩٣٦م تحرك بنا القطار من الخرطوم العمومي وجهتنا حلفا ، ففي أثناء السير تعرفت بحضرة أحمد أفندي محمد موسى المستخدم بالمخازن بحكومة السودان ، فكانت من محاسن الصدف التي أنسبها إلى غرضي. وعليه أقول إنه أثمر قبل أوانه، وهو عزمي على زيارة القدس الشريف ، وبعد الأخذ والرد ، علمت أنه مصري الأصل سوداني التربية ، فاتفقنا على النزول سوياً في لكوندة الأزهر الشريف.

وانساب القطار يقطع الفيافي والقفار بسرعة ٤٠ كيلو متراً في الساعة ولا شيء يلفت النظر سوى مدينة شندي تلك المدينة الرائعة ذات المنظر الجذاب الذي يدل على نظافتها، ثم مدينة بربر العامرة، وهي بلدة مترامية الأطراف ، لا تقل سعة عن المدن الكبيرة، ولكنها مظلومة بحرمانها من المديرية . وتتلوها مدينة العابدية، وأنك لتنظر إلى الجزيرة وهي مخضرة من كل نواحيها فتوحي إليك أنك قد ملكت الشعر ، والخيال ، وتعطيك صورة للجد والاجتهاد في ثوبه القديم، إذ تمثل إليك منظر النواعير أو السواقي البلدية يجرها الثور وخلفه صبيّ يحثه على المضي.

ويلاحظ الناظر دلائل الخصب بادية على هذه الناحية وقد بدأنا نلاحظ شجر الدوم بكثرة تلفت النظر، وبعد قليل تغير منظر الأرض الزراعية بالصخور والشلالات وكيف ينساب الماء بين الأحجار . إنه لمنظر بهيج جذاب، ونحن في هذه المناظر فإذا بالشمس تتحدر إلى المغيب فودعنا المناظر، ونحن أشد أسفاً لفراقها. ومع الساعة التاسعة وقف بنا القطار على محطة (أبي حمد) فقابلنا الصديق الحميم الشيخ بخيت عبد الله ومعه بعض معارفه الأفاضل ، وبعد التحية قدم لنا الشاي والجبنة فرفشناهما بشغف تقوية على السفر والسهر الطويل ، ومن هنا ودعنا البحر الذي كان يطالعنا ونطالعه ويشرف علينا مرة ونشرف عليه أخرى وأقبلنا على العطمور، عطمور

(أبي حمد) وهو عبارة عن قفار ومفاوز لا نبات فيها ، والأرض رملية تحيط بها الجبال ولكنها مستوية السطح ، فلما طالعتنا (الغزالة) كنا على المحطة نمرة ٢ ومنها محطة ١ ثم حلفا ، وصلنا حلفا الساعة ٧:٤٥ فقوبلنا بتوصية من الشيخ بخيت عبد الله، ومن فورنا إلى الجمرك حضر الحمال واستلم العفش بعد أن أخذنا نمرته وذهب به إلى مكتب الجمرك وهناك وجدنا العامل المختص بالتفتيش فاستعمل معنا كل ظرف، ولم يطل الزمن أكثر من خمس دقائق، فإذا نحن بداخل الوابور نستلم العفش من الحمّال فبعد استلامه نفحناه ٧ صاغ وعدنا مع الشيخ إلى السوق فجلسنا على مقهى وطلب لنا الشاي ثم إلى مكتب التذاكر استخرجت تذكرة الشلال بمبلغ ٦٥ قرشاً فلما كانت الساعة ٩ صباحاً أقلعت الباخرة ميممة الشلال ، ولا شيء يلفت النظر بحلفا مطلقاً سوى بعض المباني التي على الشاطيء ومنظر نخيل حلفا دغيم ثم مناظر الشاطيء يزينها النخيل والسواقي فالشواديف ، وقد انقطع هذا المنظر البهيج بعد الساعة ١١ صباحاً فصرنا بعد ذلك لا نرى إلا صخوراً وجبالاً وقليلاً من النخيل المنقطع، وفي كل هذه الأراضي يظهر النخيل ، ويقال إن المساحة المزروعة على الشاطيء فقط لأن ما يبعد عن البحر كله جبال وبعد زمن تنقطع الأشجار والنخيل ويحزنك منظر النخيل الذي غمره البحر من جراء خزان أسوان ثم لا ترى إلا بيوتاً على الجبال لا شجر ولا نبات حولها . وهنا تسأل نفسك كيف أحب هؤلاء القوم السكن في هذه الجبال القاحلة ويجيبك بعضهم أو نفسك أيضاً (حب الوطن) هنا يحق لك أن تهتف عالياً (فليحيا الوطن) الذي يوصل حبه إلى هذه العيشة التي هي أشبه بعيشة سكان الكهوف ، تفعل الحكومة المصرية والسودانية معاً خيراً كثيراً إذا أجبرت هؤلاء القوم على النزوح من هذه الأماكن القاحلة .

وقبل أن نصل إلى الشلال أسجل شكري لحضرة الأفاضل محمد علي أفندي سليمان وخليل أفندي إبراهيم وعبد السلام أفندى العجيل الذين أكرموا ضيافتي وأراحوني في هذه الليلة التي بتها بالوابور ، مع تقديم كل ما يلزم في أوقات

الفطور والغداء وبعد قطع ٢٢ ساعة وصلنا الشلال في الساعة الواحدة ظهراً من يوم الإثنين ١٦/ فبراير ١٩٣٦م .

وعندما رست الباخرة حضر الدكتور وأتباعه وأدوا عملية التطعيم والكشف ثم خرجنا إلى الجمرك فكان مأموره من ألطف الناس. فلم يتعبنا قط بل أخلى سبيلنا ، ولكن اعترضنا الحكيم وقال لابد من الحمام وتطهير الملابس كالذين يحضرون من الحج، فرضخنا على مضض حيث لا مفر مما يقرره الحكيم ، وناهيك بالحكماء وسلطتهم الواسعة ولكن شاء الله أن نقع على مساعد أو حكيم صحة لا بأس به سهّل لنا المهمة، بل تساهل إلى أبعد حد وكانت النتيجة حجز أحد الركاب، وهو أحد النقادية ليقوم بالقطر الثاني. ومن فورنا ونحن نعدو عدو الظليم إلى المحطة لاستلام العفش وقطع التذاكر ، وكان الحر يؤلمنا كثيراً إلى حد يلفت النظر إذ لم نر مثله في السودان في هذه الأيام ، أما منظر محطة السلامة فإنه يدل على تحطيم وتخريب ولخبطة وعدم نظام لأن البحر غمر المحطة القديمة وطمس معالمها إلى حد بعيد ، وفي الساعة الثالثة بعد الظهر تحرك بنا القطار وجهته محطة أسوان الجميلة التي بحق تشعر بوصولك إليها أنك وصلت إلى قطر غير السودان، أشجار ومباني ومناظر لا بأس بها ، وهذا القطار من النوع السريع الذي لا يقف إلا في بعض المحطات التي سنذكر المهم منها.

في محطة أسوان، يضايقك الباعة إلى حد بعيد فكل يعرض ويريد منك الشراء بالأمر، عرضت لنا صبية في الثامنة من عمرها بيضاً وألحت ولم نتخلص منها إلا بإعطائها رغيفاً واحداً وذلك أسهل علينا من شراء البيض حيث معنا الكفاية. يمم القطار مصر ينهب الأرض نهباً بين النخيل والمزارع المخضرة، فمر على محطة الجعافرة مروراً ولم يقف إلا بدراو، وهي محطة جميلة من كل الوجوه. تتخللها الترع ومقامة عليها السواقي والشواديف ، تساير الترعة القطار إلى مسافة طويلة ، وهي مدينة واسعة

مترامية الأطراف ، وغالب مبانيها بالطوب الأخضر ، ويظهر أن بها مشروعاً زراعياً لاتساع مزارعها القمحية .

وصلنا محطة كوم أمبو الساعة ٤:١٥ وهي ذات مباني جميلة وجامع أجمل ومباني أخرى فاخرة، غير أن المحطة وسخة جداً مع أن المباني القريبة منها في غاية الأبهة، وهي المحطة المشهورة بقصب السكر ومصنع السكر ، أما بناء المحطة نفسها فمن أجمل ما يمكن ، ومن الناحية الغربية للمحطة تطالعك مواقف ومصانع السكر وأشجار باسقة ومزارع مد البصر وتربة صالحة، فسبحان الخلاق العظيم .

في الساعة ٥:١٥ وصلنا تفتيش عطية بعد أن تركنا محطة السلسلة والسراج وهي محطة بلدة أدفو، وأدفو تقع بالغرب . وهذا التفتيش جعلها روضة ،وتطل على المحطة الجزيرة التي تفصل أدفو عن السكة الحديد، مزارع وأشجار باسقة لا حد لها شرق السكة الحديد وغربها. وبعد خمس دقائق والقطار في محطة أدفو بدأنا نشعر بالزحام والناس لا يعرفون الهدوء والسكون مطلقاً، فكأن العربة ملك لكل فرد منهم ، وهنا تذكرت الخمام والفلاته يوم يهجمون علينا ونحن في طريقنا للأبيض أو الخرطوم ولعل هذا راجع إلى سرعة القطار وحرصهم على السفر أما الهرج والمرج فحدث ولا حرج ولا تسأل عن العالم الواقف بالرصيف ، وبايع البيض يصم الآذان بندائه المزعج وغيره من البياعين . وبناية المحطة جميلة ومتينة وبجوارها محل مكتوب عليه (بوفيه) يظهر أنه خمارة.

آذنتنا الشمس بالمغيب عند محطة إسنا أما المحطة فكمحطة دراو قذارة ولخمة ، أما المدينة (أسنا) فإنها بالغرب وفي المدينة خمسة منائر للجوامع ويدل شكلها على أنها ذات مباني فاخرة في طبقات متعددة ، أما الأشجار الباسقة فإنها متوفرة بالمحطة ولكن بناية المحطة متواضعة وعادية جداً .

وعند الساعة ٧:١٠ وقف بنا القطار عند محطة الأقصر وبما أن الوقت ليل لم نستطع أن نرى شيئاً غير جامعها الشامخ الذي يطل على المحطة، أما نفس المحطة فخير من محطة (أسنا) لأن الرصيف على طول القطار ، وأهلها أقل جلبة من أسنا،

وبما أن القطار لا ماء به فإن الباعة يعرضون القلة ، وماؤها بخمس مليمات. والحق أن السكة الحديد المصرية مخطئة في عدم توفير الماء بالقاطرات فذلك يدعو بعض الركاب لشحن الماء لعائلاتهم .

أما عربات السكة الحديد فإنها أكثر سعة من عربات الدرجة الثالثة بالسودان، وهي في النظافة بمكان لا بأس به والكراسي أكثر سعة من أمثالها بالسودان والعربة في طول عربتين من عربات سكة حديد السودان والأجرة من الشلال لمصر بالدرجة الثالثة ٨٨ قرشًا.

مباني المحطة على آخر طراز وعند واجهة البناية يقف الوجهاء، وشبه الوجهاء طبقة الأفندية الذين لا تجد بينهم لابس البرنيطة مطلقاً، ومباني المدينة متعددة الأدوار وهي من الجمال بحيث تعدها أولى مدن مصر.

وفي الساعة ٨:٥ وصلنا محطة قوص وهي محطة بسيطة لا شيء يذكر فيها ، يظهر أنها بنيت قبل أيام النظام والمباني الجميلة .

وفي الساعة ٨:٣٥ وصلنا محطة (قنا) وهنا عرضت القلل المشهورة بالقناوية مليانة وفاضية ، وحصلت زحمة وكلام أقل مما حصل بمحطة (أدفو) ، وتطل على المحطة عمارة وجيهة ذات ثلاثة ادوار ، ورصيف المحطة ممتد والبوستة في نفس المحطة والبلد متمشية مع شريط السكة الحديد يفصلها شارع مبلط وفي غاية النظافة ، وبعد قليل إتجه القطار نحو الشرق والبلد تميل إلى ناحية الغرب وطرف السوق متصل بالمحطة وسوقها جميل لا بأس به .

وفي الساعة ٩:٥٠ وصلنا كبري نجع حمادى والمدينة كسابقاتها ، وكثيراً ما تشابه بعضها في نظامها ونظافتها، أما الكبري فإنه ضيق بعض الشيء وله طريقان للسكة الحديد والناس . وكان سير القطر فيه باحتراس ، وهذا يدل على أن الكبري صغير لا يقوى على السير الاعتيادي .

طلع علينا الفجر في محطة بني سويف الجميلة كاملة الرصيف محكمة المباني ومنها ستكون جميع المحطات على أتم نظام ، وفي الساعة ٥:٢٠ وصلنا محطة إمبابة وهي محطة عامرة بها ورشة تجعل القطر يقف بها أكثر من غيرها ، وإن كانت المحطات على العموم الوقوف بها نحو الدقيقة والدقيقتين، وكثير من المحطات بها سلالم مرتفعة ليمر بها الإنسان من الرصيف الغربي إلى الرصيف الشرقي من فوق القطار. لم أتكلم عن الكثير من المحطات لأن المرور بها كان ليلاً والبرد بدأ يداعبنا ونحن من المنطقة الحارة فخير لنا قفل الأبواب وعدم التعرض للبرد ، وإن كانت هذه الحالة تحرمنا من المزارع والترع الطويلة والكباري المقامة عليها. ولعلنا نتمكن من ذلك في العودة.

قبل وصول هذه المحطة والمحطات التي بعدها، وإلى محطة الجيزة مزارع واسعة والأرض مخضرة لا ترى عليها غير الخضرة الناضرة، وبعد قليل من قيامنا من بني سويف رأينا من بعيد كأن الأرض بها ماء ، وبعد قليل ظهر شكل دخان ، فسألنا عنه فقيل لنا إنه الشبورة أي علامة البرد، ولكننا لم نشعر ببرد أكثر من المعتاد ، أما النخيل فحدث عنها وقل ما شئت وجلها مغروس بنظام بحيث تراه قائماً مصطفاً ومنه الباسق ومنه الوسط .

وفي أثناء السير تمر بمباني الفلاحين وسط الحقول وخلف المباني كما أن بعض القرى الريفية بنيت كلها من الطوب الأخضر ، وأبراج الحمام تعلو بعضها وفي الساعة ٦:٢٥ وصلنا الجيزة. والمحطة قريبة من المزارع وهي عامرة ومتينة وبداخلها وحولها الحشيش وعليه الزهور، وعلى العموم المحطات تعطى عناية تامة كلما قربت من مصر، والبلد تقع شرق المحطة وغربها وهي صغيرة ولا تظهر مباني تلفت النظر كما في إمبابة وأسنا وقوص مثلاً، وما يوجد من المباني الفاخرة يقع شرق المحطة، وشمال المحطة تقع مباني الأهالي الاعتيادية وهي من الطوب الأخضر وعليها علامات القذارة بادية حيث يطرحون القش الناشف على السقوف، وبعدها ورشة السكة الحديد وخلفها مباني بولاق وتظهر من خلفها إهرامات الجيزة المشهورة وبوابة الحديد

التي تدهشك والطلوع من المحطة من نفق تحت الأرض ثم تخرج على الميدان المعد لوقوف السيارات، وعند الباب قابلنا الشيخ ماهر وماهر أفندي القباني والخواجة تمام، وركب الجميع ويممنا لكوندة الأزهر الشريف وذلك في الساعة ٧ صباحاً ، إذ كان وصولنا لمحطة مصر في الساعة ٦:٥٠ فوجدناها لكوندة لا بأس بها وبها أربعة أدوار السرير في الدور الأول ١٠قروش والثاني ٨ قروش والثالث ٧ قروش والرابع ستة قروش فاخترنا الثالث لأنه الوسط. وأقمنا يومنا في اللكوندة لنرتاح من وعثاء السفر إذ الخروج في مثل هذه الحالة لا يخلو من تعب فقد يولد ضرراً في ما بعد ، ولما كانت اللكوندة تطل على ميدان الأزهر مباشرة اكتفينا بفتح النوافذ وأن نطل على الميدان ، فهذا المنظر يكفي عن المرور في مثل هذا اليوم لأنه ميدان جامع لأشكال وألوان من الناس والباعة .

وفي الساعة ٧ مساء أردنا أن نمر مروراً خفيفاً فبدأنا من شارع الأزهر إلى العتبة الخضراء ،و هناك الجلبة والضوضاء والحركة المستديمة ، ولا يمكن أن أصف لك هيئات الناس ومجالسهم واكتفى بالميادين وحدها . وبعد أن وقفنا هنيهة دلفنا على محطة مصر وهذه أجمل من أختها ثم شارع فؤاد ثم وصلنا حديقة الأزبكية فمررنا من الخارج وعرجنا على شارع كلوت بيك وهذا الشارع أقل الشوارع الثلاثة، وأعظمها شارع فؤاد ، أما المباني الشامخة والمحال العامرة فحدث عنها ولا حرج ، وهذه الرحلة استغرقت ساعتين ونصف فرأينا أننا في حاجة للعودة، فلما رجعنا وجدنا بعض المحلات قفلت وأولئك الذين لا عمل لهم بالليل يستدعي البقاء أكثر.

نمنا ليلتنا، وفي الساعة ٨:٣٠ صباحاً تحركنا من اللكوندة ، ووجهتنا الإمام السيد الحسين فدخلنا من الباب الأخضر فلما قربنا من الضريح سألنا هل الجامع منفصل عن الضريح أم هما واحد فعلمنا أن الضريح يكون أمام الجامع، ومنه يكون الدخول على الجامع، وقبل الوصول إلى الباب محل واسع في واجهة الضريح فدخلنا الجامع وأدينا تحية المسجد ثم طفنا بأركان الجامع فكان عدد أساطينه ٩×٥

وهو جميل البناء به بعض الكتابة على الجدران، وله قيّم بنظافته رأيناه ينفض الغبار عن الجدران، ثم خرجنا لمقام السيد الحسين، وقفنا به للفاتحة ثم خرجنا إلى السكة الحديد، ومررنا على محل الشيخ محمد أحمد البرير وإخوانه بعمارة إبراهيم عامر، وكان المكتب بالدور الثاني طلعنا إليه وجلسنا قليلاً إلى أن شربنا الشاي ثم أتممنا رحلتنا ، عرجنا على محل الطوخي ومحل الشبراويشي.

أما عمارة إبراهيم عامر فإنها عمارة بحق وحقيقة ، ومكتب علي أفندي البرير في غاية العظمة والجمال، أما محلات الشبراويشي فجمال ونظام ولطف ورقة وأنواع يدهش منها الكبير والصغير وهناك الوسط والغالي والرخيص.

كان مرورنا سيراً على الأقدام إلى أن وصلنا العتبة الخضراء ومنها ركبنا الترام بستة مليمات إلى السيدة زينب . وهناك أدركنا صلاة الظهر وبعدها عرجنا على ضريح السيدة وهو شمال المسجد فأدينا الفاتحة لروحها. ومن فورنا إلى ميدان السيدة فهو على سعته لا شيء فيه غير أن النساء يتجمهرن أمام الضريح ومنهنّ الداخلة والخارجة من الضريح، ولاحظت عند دخولي على السيد الحسين أن كثيراً من الرجال يكونون حلقة يتجهون في جلوسهم إلى ضريح السيد ومنهم الذاكر والمتضرع ومنهم الذي يقبل الضريح، وبعضهم وقوف خليط من النساء والرجال ويظهرون الخشوع والإبتهال، ولا أدري ما السر في استدبار القبلة، ولعل لهم عذر. ومررنا في طريقنا على دار الكتب المصرية فوجدناها قد قفلت ثم ركبنا الترام إلى ميدان الأزهر الشريف فرأينا أن نتناول الغداء عند الحاج حسن وتم لنا ذلك مقابل ٦ قروش أنا وزميلي أحمد أفندي موسى.

وبعد ذلك عدنا إلى اللكوندة على موعد مع الشيخ ماهر القباني على أن نذهب في الساعة ٤:٣٠ إلى المعرض بالجيزة ، وفعلاً تم لنا ذلك فركبنا الترام من ميدان الأزهر ثم امتطينا السورني كروفت من العتبة إلى الجزيرة مقابل خمس مليمات لكل منا، وهي مسافة طويلة، فوصلنا دار المعرض بعد أن قطعنا كبري قصر النيل الجميل فواجهتنا بوابة المعرض الجميلة فأخذنا تذكرة الدخول بمبلغ ٥ قروش ثم دلفنا

إلى داخل دار المعرض، ولك أن تقول البلد الجديد أو (مدينة الملاهي) وبعبارة مختصرة أقول أن مجموع المعرض صورة مصغرة من المصانع والمتاجر وآلات الزراعة التي بالبلد، فمررنا على المقاهي واللوكوندات في طريقنا إلى مصلحة الزراعة والبيطرة والحيوانات بأنواعها وعلى بيت الفلاح وما يحويه من أثاث ثم رقص الخيل على الطبل البلدي بحركات مدهشة إذ يتحرك الحصان برجل واحدة ومرة برجلين وأخرى بثلاث وأخيراً يبرك ثم يرقد ثم ينهض بسرعة وعليه فارس . ومررنا على آلات الزراعة القديمة والحديثة والآلات الرافعة على اختلاف أنواعها ثم على سراية وزارة الزراعة ، وهي بناية مدهشة وبها جميع أنواع المزروعات وكثير من الصور للفلاح في حالات مختلفة ورسوم لأنواع الفواكه.

ثم سراية الصحة العمومية وبها كثير من الرسومات التي توضح فتك الأمراض بالفلاح كالبلهارسيا كما في متحف الملك فؤاد الصحي، وأمراض الجزام.

ثم لوحة عليها عدد الجنسيات المقيدة بالسجل التجاري لغاية ٣١ /١٢ / ١٩٣٦ ، وهي هكذا: مصري ٦٩٧٨٢ يوناني ٣٣٠٧ إيطالي ١١٥٣بريطاني ٩٢١ فرنساوي ٥٩٢ جنسيات أوروبية ٥٣٤ جنسيات آسيوية ٥٣ أمريكية ٣١ جنسيات إفريقية ٣١.

دعوة الجمعية الزراعية:

مساء يوم ٣/٢٥ تلقيت دعوة الجمعية بواسطة الزعيم البرير وكان موعد الدعوة يوم ٢٦ ظهراً فلما أزف الوقت ذهبت لمكتب البرير فوجدته على استعداد . ومن فورنا امتطينا سيارته الخصوصية يممنا دار المعرض فدخلنا من الباب العام بعد أن قدمنا كرت الدعوة لنعفى من رسم الدخول ثم وصلنا إلى الدار المعدة للدعوة فإذ هي ردهة واسعة وفي وسطها المائدة وحولها الكراسي ، فوجدنا أنه قد سبقنا الشيخ إبراهيم عامر وسليمان الحاج حسن والعوض المصري والشيخ عبد الرحمن أحمد وغيرهم ، فلما اكتمل عقد المدعويين دعينا إلى الطعام وكان طعاماً فاخراً جمع كل الألوان فأكلنا هينئاً ثم قدمت الفواكه فأخذنا منها قليلاً . وبعد ذلك قام نائب رئيس الجمعية وألقى كلمة قصيرة ارتجالية شكرنا على تلبية الدعوة كما شكر الظروف التي أتاحت لهم الاتصال بنا ثم جلس فقام الزعيم البرير وقال إنه ما كان يحسب أن هناك خطباً ولو علم لأعد ما يناسب المقام ولكنه خدع، وعليه يقول إنه عاجز عن القول لأن المقام فوق درجة الشكر. فكان تصفيقاً ثم خرجنا بعد أن قدمت لنا تذاكر مجانية لمشاهدة لعب الفرسان الذي سيكون في الساعة٤:٣٠. فرأينا أن نطوف بالمعرض إلى حلول الميعاد ، فذهب كل منا حيث شاء بعد أن قابلنا مصور المعرض وطلب منا أن نقف صفاً لأخذ (الرسم) كأمر الرئيس فأجبنا طلبه ثم طلب صور ثلاثة منا وأنا أحدهم على حدة لنعطي تصريحاً بالدخول للمعرض مجاناً. وهذه الصورة ترفق مع الإذن الكتابي ، وبعد ذلك توجهت والشيخ عبد الرحمن أحمد إلى مقهى محمد داوود لتأدية صلاة الظهر ولبثنا به إلى أن أدركنا العصر ، ولما حان ميعاد لعب الفروسية ذهبنا سوياً وبعد قليل خرج جماعة من الفرسان يمتطون الخيول ذات المنظر الجميل ، بعضهم بالزي العربي وبعضهم بالزي التركي أيام محمد علي باشا وبعضهم بالزي الفرعوني فقاموا بألعاب مذهلة بحيث توضع خشبة وعليها حلقة صغيرة فيمر عليها الفارس وهو يعدو بسرعة فيتناولها بالرمح ثم يأخذون المسدسات ويمرون على أنابيب من اللستك كبالونات الأولاد وهم يعدون فكل منهم يصيب هدفه ثم يعدون عدواً سريعاً وينزل

الفارس ثم يركب ، وبالجملة أتوا بعدة ألعاب في غاية الخفة والجمهور يقاطع بالتصفيق الحاد ثم أتى العمدة وأتباعه وأرادوا تقليد الفرسان في ألعابهم فكانوا يفشلون في كل محاولة وأتوا بصور العبط والهبالة التي أثارت زوبعة من الضحك .

ثم توجهنا إلى عمارة وزارة المعارف وهناك العجيب الغريب من الصنائع إذ بها جميع منسوجات المدارس التابعة للمعارف ثم قسم البقول والفاكهة والزهور ، وهنا نحكم بتقديم مصر في الصناعة والزراعة تقدماً مضطرداً فوق الحسبان ، ويحق لك أن تدعو للقائمين بأمر هذه الصنائع وتلك المزروعات البديعة ، أما البناية التي خصصت لهذه الوزارة فإنها من الخشب المدهون إذ يجعلك تظن أنه من الحجر وهو شبه عمارة كبيرة تتخللها الطرق والحجر الممتدة على طول الطريق ، ولولا العلامات الموضوعة دلالة على طريق الخروج لما استطعت الإياب إلى نقطة الخروج لسعة الدار وكثرة طرقها والتوائها. أما الملاهي فلا حصر لها وأهمها فرس البحر الذي يأتي بألعاب مدهشة وهو حيو ان ، فسبحان من سخر كل شيء لبني الإنسان ثم لعبة الموتر والدراجة، وهناك الأقزام في طول ٦٠ سنتي وهما امرأة ورجل ، ولهما ولد.

وبالجملة فالمعرض معجزة من معجزات الصانع والزارع والمهندس المصري، وأنه مفخرة لكل مصري ساهم فيه برأيه أو بموضوعاته ، ويحق للمصري أن يرفع رأسه عالياً وينادي فلتحيا مصر بملئ فيه. لأنه برهن على مقدرته واستعداده للقيام بمهمته في الحياة بدون رقيب أو عتيد فإلى الامام يا أبناء الكنانة والله معكم.

أما تفصيلات المعرض فلا أظن أن هناك أحداً يستطيع وصفها وصفاً كاملاً جامعاً مهما ضحى بوقته وراحته ولكنه وصفٌ يقربه إلى الذهن ويشوق لرؤيته في دورته الآتية.

أما الشيء الذي يؤسف له حقاً هو قلة السودانيين بالمعرض عارضين أو متفرجين مع أن الجمعية خصصت محلاً جميلاً لمعروضات السودان ووفرت لهم أسباب الراحة في مصر وفي الوصول إليها إذ خفضت النولون إلى النصف ، وفي المعرض تعفيهم

من رسم الدخول الذي هو ٥ قروش ، وأخيراً لما رأت أن العارضين يشكون أعطت كلاً منهم مساعدة مالية من ١٠ جنيهات إلى ٣٠ مع الميداليات التي أعطيت لهم تقديراً لاشتراكهم وكان المصريون يأملون في وصول عدد كبير من تجار وأعيان ووجهاء السودان لمشاهدة هذا الحفل العظيم ولكن وللأسف خاب فالهم ، ولعل الدورة الآتية تحقق آمالهم في السودانيين .

الكتبخانة:

في صبيحة يوم ٣/١٩ خرجنا في الساعة الثامنة صباحاً فمررنا على مكان الحاج علي ، فطرنا عنده بمبلغ ٦ قروش، ثم مررنا بشارع السكة الحديد لمقابلة الحاج عبد القادر طليمات ، ومنه إلى محطة بيت القاضي، ثم ركبنا إلى العتبة الخضراء وبخمس مليمات، ولف بنا في مضايق وحواري لا شيء فيها فلما وصلنا القبة توجهنا لشارع كلوت بيك، والزيات محمد مختار متعهد بيع طرابيش مشروع القرش.

ومنه عدينا على الكتبخانة المصرية، عمارة هائلة بمعنى الكلمة وإدارة واسعة ، وعند دخولنا قابلنا الحارس لاستلام العصي ثم طلب منا أن نقيد اسمينا في سجل خاص بالزوار ففعلنا ذلك ، ودخلنا فوجدنا الكتب الأثرية مرتبة في دواليب من الزجاج بديعة الشكل وموضوعة بأقدمية التاريخ، دولاب به أوراق بردي مكتوبة فى سنة ٥١ هجرية ثم قطع حجرية مكتوبة بخط قديم فكتابة على جلود ثم مصاحف السلاطين والأمراء من تواريخ بعيدة كمصحف (خون بركة) أم السلطان شعبان ٧٧٦، وأربعة مصاحف للسلطان شعبان ٨٧٨، ومصاحف للسلطان برقوق من ٨٠١ – ٨١٥ ومصحف السلطان الناصر ٧٤١ ومصحف السلطان المؤيد ٨٢٤ ومصحف السلطان الأشرف ٨٤١ ومصحف الأمير أرغون المتوفي سنة ٧٧٨ ومصحف السلطان خشقدم ٨٧٢ ومصاحف وكتب برسم السلطان قايتباي ٨٧٣ – ٩٠١ وعند واجهة المدخل نماذج للكرة الأرضية وتمثال نصفي لجلالة الملك فؤاد الأول .

وكلها على ورق من القطع الكبير بحوالي ٦٠ سنتى في ٤٠ سنتى ، ثم هناك خريطة حجرية مجسمة عن منطقة المحطة الكائنة على طريق السكة الحديد

الحجازية ثم العملة في عهود الدول الشريفة الفضية والذهبية والبرونزية وخلافها ، كل مكتوب عليه اسم صاحبه وتاريخه، وموضوعة وضعاً بديعاً . ثم دواليب المطبوعات الشرقية ، ومخطوطات أيضاً منها الذي طبع في الصين وزنجبار والقاهرة والسودان والجزائر وفارس ، مختلفة التواريخ والأزمنة .

ومطبوعات عربية طبعت في الهند والموصل وتبريز ولبنان ودمشق والقسطنطينية ، وهناك نموذج للتجليد في عهد المماليك وخلافهم أي تجليد الكتب . وهناك أشياء صغيرة لم نلتفت إليها كدلائل الخيرات المذهبة والمصحف الصغير الذي يربط بقطعة من الجلد ويضم عليها ويفتح ككيس النقود الصغير. أما البناية من الداخل فشيء فوق الوصف وأكبر من الوصف، وأنى لواصف وصفها.

فبعد أن طفنا على بعض النواحي ، خرجنا إلى المتحف الصحي لجلالة الملك فؤاد الأول، وهناك عظمة الرسم والرسامين بل عظمة الطب، وهناك يظهر الطب العملي في أجل معانيه السامية، فدخلنا الدار وكان يوماً للدخول فيه مجاناً، فسلمنا العصي واستلمنا نمراً عليها ودخلنا الدار التي لا تقل عن عمارة دار الكتبخانة جمالاً وبهجة فرأينا عند الدار تمثالاً لامرأتين إحداهما تحمل طفلاً فلم نعبأ بهما.

طلعنا إلى الطابق الثاني حيث التماثيل التي تمثل جميع الأمراض الفتاكة والمنتشرة بين الناس وهم يجهلون ضررها الفظيع ، فدخلنا غرفة الأمراض السرية السيلان والزهري مثلاً ورأينا الأمراض مجسمة على أعضاء التناسل وغيرها من الأعضاء (قتل الإنسان ما أكفره وما أشره وما أقساه) تتدهش عندما ترى عضو التناسل فى الرجل او المرأة مصابان بالمرض وكيف يتطور هذا المرض وينتشر فى بقية الأعضاء وكيف يفعل الزهرى بالأنف وبالعيون من تشويه مريع وتغيير فظيع ويؤلمك منظر الأطفال المصابين بالزهري الوراثي حيث يشوه الخلقة ، وعلى الأخص الأنف والعيون.

ثم تطور الجنين من يوم تكوينه إلى نهاية الوضع، وكل ذلك مجسمم أمامك تعاينه معاينة حقيقية على قطع شبه حجرية ولعلها ليست من الحجر ملون بألوان طبيعية لا تشك في أنها قطعة طفل أو عضو في الإنسان. ثم كيف يكون الوضع عندما يأتي الطفل معكوساً فهناك يد الطبيب تفعل فعلتها في إنقاذ الأم. ثم تجسم أمراض الأطفال في جميع أطوار الطفولة ، ثم هناك المناظر الشاذة في الإنسان التي تجعل الأعضاء غير طبيعية كضعف الساق أو التواء الأقدام والأفخاذ ، ثم تعرج على مرض الجدري وكيف يغير اللسان والزور والحلق ، ترى ذلك في عدة صور. وهناك الحمى التيفودية وتأثيرها على الأمعاء وفعل الفيروس فيها ، فالحصبة وما يعتري اللسان في حالة الحصبة مجسماً ، فالحمى القرمزية ثم تمر على حشرة الملاريا مكبرة وكل ذلك مكبراً. وهناك أيضاً أعضاء مصابة بالجرب في حالة التقيح وغيره وفي شكل حبوب، فديدان البطن على طفل في السادسة من عمره، فصور من أنواع الحروق تمثل أيد وأرجل أصيبت بالحرق والتهابات الفم في حالة التسمم بالزئبق وصوراً في حالة التسمم بالرصاص . ثم عرجنا على تماثيل التهابات العيون في جميع أمراضها المختلفة وكيف ترى العين مصابة بالمرض وكيف غيّر معالمها مع شكل الوجه وأخرجه من حالته الطبيعية.وفي كل ما ذكرته لك لا تشك مطلقا في أن هذا العضو الذي ألم به المرض هو جزء مبتور من إنسان لا صنع مثال فنان .

وهنا تمجد الفن أي فن الرسم والرسامين وكيف يعطونك صورة حقيقية لما تريده، وهنا يحق لك أن ترفع أكف الضراعة إلى المولى سبحانه وتعالى أن يجزي جلالة الملك فؤاد خير الجزاء على هذه الخدمة الإنسانية العظمى ، ولا شك أن هذه الدعوة تخرج من قبل كل زائر بدون أن يتعمدها لأنه في هذه الساعة التي يطوف بها على المتحف يرى صورة البشرية المعذبة بأهوائها وتسمو الروح حينها يقدس المولى جل وعلا ويعظمه في مخلوقاته ويحمده سبحانه وتعالى على أن عافاه من هذه الأمراض ، لذا يدعو لمن جعل هذه الموعظة الحسنة ويكبره ويكبر صنيعه. .

بائع البليلة أمام العمارة :

في الصباح الباكر جلس بائع البليلة أمام العمارة وهو ينادي عليها فالتف حوله نفر غير قليل من الرجال ، والنساء والأطفال وكل ينادي هات هات بقرش بتعريفة، بنكلة وكل يحتضن صحنه ويتناول منه بالملعقة فتناول صاحبي منه بخمس مليمات فإذا هي بليلة كما في رمضان عندنا وهي من القمح وعيش الريف والحمص، فقلت لصاحبي: ما يقول الناس في السودان إذا سرح أحدهم بالبليلة؟ قال يقولون: (غلبته عيشته المطرطش) بينما هذا الرجل يربح من عمله هذا الذي لا يدوم أكثر من ساعتين نحو الأربعين قرشاً من البليلة التي لا يعبأ بها أحد عندنا ولا يجعلها مهنة لأن هنا عالم يزدرد كل ما يؤكل ولا يهمه أهو في المنزل أو في الشارع ولا حرمة للأكل عندهم ولا يعلمون بالكلمات التي يقولها سودانا (داروا على طعامكم كما تدارون على نسائكم) والحق هنا عالم وهنا محشر وهناك أقلية وهناك أنفة وكبرياء وهناك عظمة الصعاليك وهنا السعي وراء الرزق وهنا الجد والنشاط فإنك لا ترى بالطريق إلا من ينادي على سلعته أو هو مسرع في سيره إلى محل عمله لا يلوي على شيء فكأنه مطارد من خلفه، اما السير الوئيد والقدلة والتلكع وهز الردف فلا أثر لها قط .

بنوك التسليف :

عندما تمر بالسكة الحديد على الخصوص وتتبع قراءة اللوحات للاهتداء على محل تريده تلفت نظرك لوحات بنوك التسليف تحت رهونات فإنها متعددة ومتعددة جداً وكلها لجماعة من اليهود قاتلهم الله ، ثم في كثير من الشوارع تجد هذه البنوك وكثير من الأهالي يترددون عليها مع أنها الوباء النازل والداهية الدهياء العمياء وهي الطريق السهل لسلب ثروة البلاد وابتلاع أملاك الوطنيين، ولا شك أن هذه البنوك أكبر عامل لتحويل الأملاك من الوطنيين إلى الأجانب. وهذا ما قاله لي كثير من العارفين بالأحوال في مصر. وقد قيل أن فوائدهم التي يأخذونها ما قبل التسليف مرهقة

جداً وأنها كفيلة بإرغام المالك على البيع تحت تأثير الفوائد المركبة التي تكون مبلغاً يدفع فيه المالك بدون انقطاع وقد تتراوح الفائدة إلى ٢٠٪ وأن الحكومة تحسن إلى الرعية بقفل هذه الحوانيت ويحق لها أن تفعل ذلك لحماية جمهورها فإن صاحب الحاجة أعمى، وباسم الحاجة يركب كل مركب خشن ، وفي بنك مصر يجدون راحتهم وحمايتهم من هذا العدوان ، وفي قوله تعالى خير رادع لمن يؤمن بالله: "يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم". آية ٢٧٦. وقوله تعالى : "ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين" . (٢٧٨) البقرة.

مضايقات الباعة وماسحي الأحذية :

لا تكاد تجلس على مقهى أو محل تجاري إلا ويهجم عليك ماسحو الأحذية كل يريد مسح الحذاء مع العلم أن الحذاء مسح قبله بقليل لأنه لا ينظر إلى نظافة الحذاء بل ينظر إلى الحذاء من حيث هو ، ومتى تحقق من أنه حذاء فلابد من مسحه بأي حيلة وإن أبى صاحبه وألح في الإباء ، لذا يضايق ويضايق ويلح ويلح وغيره أيضاً .

أما الباعة المتجولون فلا حصر ولا عد لهم فلا تمر بشارع إلا ويقابلك جيش منهم كل يعرض أشياء ويا شقاوة من يدخل معهم في مساومة فمتى ساومته طمع في البيع، وهنا يجب على الراغب في الشراء أن يتيقظ للسعر فإنهم يطلبون فيما قيمته قرش ١٠ قروش ويتمشون مع قوة الشراء فما زالوا يخفضون وأخيراً يقبلون بأي سعر تحدده وهم الرابحون.

وهناك طريقة لا تختلف عن الشحاتة إلا شكلاً وهي أن يعرض أو تعرض فتاة أو عجوز قطعة من الشُكُلاتة لا تساوي أكثر من نصف مليم ويناجيك بقوله شجعني ساعدني بمليم ، وهذا الصنف كثير ومضايق لحد بعيد رجالاً ونساءً وصبياناً. أما باعة أوراق اليانصيب فهذا جيش يفقد القائد الخبير يقابلك في كل شارع وفي كل زقاق وفي كل عطفة وفي كل قطعة من المعمورة " المؤاساة يا بيه" ، "العروة الوثقى يا أفندم" "جمعية المواساة يا أستاذ" "الأقباط الخيرية" وغير هذه الأسماء كثير والعارضون جلهم من العجزة وأصحاب العاهات والنساء والأطفال وهي ضرب من الشحاتة أيضاً ،

ولكنها في قالب مغر بالريح وينادون: "تربح ٢٠٠ جنيه و ٥٠٠ جنيه" "السحب اليوم" "السحب غداً "شوف بختك يا أفندي" "جرب حظك". ولعلها مهنة يتكسبون بها لأن هذه الأوراق تباع بيعاً لمن يوزعها على المشترين وأظن هؤلاء هم الذين يتفقون مع الباعة ولهم ربح خاص وبعضهم لما سألناه عن ربحه من هذه الصنعة قال: ربحنا من الرابحين حيث نأخذ منهم (الباكشيش). والنظرة تحكم بأن الناس يشجعون هذا الضرب من القمار لأن الطمع في الربح فعلته في النفس وهو الذي يحمل الرجل العاقل بأن يجلس إلى المائدة الخضراء وينفض جميع ما في حقيبته عله يرجع بالأمل المنشود وكثيراً ما دفع هذا الأمل بالإنسان على ركوب الصعب من الأمور ودله على طريق الشر من حيث يشعر ولا يشعر.

فيا رب سلم وخلصنا من حب العاجلة وأهدنا سواء السبيل ولنا في قولك الحكيم : (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر). سورة المائدة آية (٩١). خير زاد ، ولا شك أن هذه الحيل وأمثالها ضرب من القمار الصريح الذي أفتى به غير واحد من العلماء العاملين .

ميدان العتبة الخضراء وبعض الشوارع المهمة :

ميدان العتبة هو ميدان الحركة الدائمة على ضيفه ومحل الجلبة والضوضاء لأنه خط الاتصال وإليه تعود وتمر جميع ترموايات العاصمة إذ هو الطريق الرئيسي للحركة فإذا ضللت السبيل فاطلب من السائق أو من المارة أن يدلوك على العتبة ومنها تهتدي لما تريده، وهنا يجب الانتباه الدقيق للنفس ، للكيس ، للساعة معاً وإلا لأصبحت مفلساً مسروقاً لأن هناك العالم والمحشر. أناس يغدون ويروحون وآخرون وقوفاً على الأقدام في انتظار الترام الرائح لروض الفرج ؛ الإمام ؛ المذبح ؛ السكاكيني ؛ الجزيرة ؛ السيدة ؛ مصر القديمة ؛ مصر الجديدة ؛ العباسية ؛ السبتية ؛ باب الحديد؛ الأزهر؛ الإسعاف وغير ذلك.

ولك أن تسميه ميدان الباعة وعلى الخصوص باعة الصحف على اختلاف أنواعها لأنك تسمع من الباعة كلمات: "أهرام" ؛ "جاد بور بور" أي جريدة الجهاد

والبورصة بغير انقطاع. وإياك والإلتفات على هذا المنادي فإنه يلزمك بالشراء بمجرد المحادثة وغيره يأتيك مسرعاً معدداً لأسماء الصحف التي يحملها وتفهم من كثرة العرض أن أكثر الجرائد انتشاراً هي الأهرام والجهاد حيث يقابلك البائع قبل طلوع الشمس بالجرائد لأن العمل فيها ليلاً أما المقطم فبيعه آخر النهار عند الغروب تقريباً .

أما الشوارع ذات الأهمية فشارع فؤاد لأن به المتاجر الفاخرة التي تؤمها الطبقة الأرستقراطية فشارع الأزهر وبه المتاجر الكبيرة للبيع بالإجمالي فشارع السكة الحديد أو الموسكي الضيق المزدحم بالناس وكلها متاجر جميلة على آخر استعداد فشارع الظاهر بيبرس به صنائع ومحلات الصناع فشارع عماد الدين وهو شارع الملاهي حيث به الكثير من السينمات والمراقص فخان الخليلي به متاجر الأنتيكات وهو ذو أزقة ضيقة فشارع قصر النيل أبهة وعظمة وجمال مباني فاخرة وبه ميدان فسيح. أما شارع الغورية ففيه متاجر وأزقة ضيقة جداً ومزدحم بالمارة وحركة فوق التصور ، وهنا يحاسب المار من التصادم بالجنسين.

ميدان باب الخلق لا شيء فيه غير بناية دار الكتب العربية الجميلة، ميدان الإسماعيلية جميل وبهيج لاتصاله بشارعين مهمين شارع قصر النيل وشارع إسماعيل باشا. شارع محمد علي باشا عادي ولا شيء به غير المصانع والمطابع وهو الموصل إلى القلعة مبتدئ من العتبة. أما الأسماء الغريبة للشوارع والأزقة فخذ نموذجاً لها (دروب الأنسية ، شارع المغربلين ، عطفة الدود، درب الاغوات ، سكة اللبودية ، عطفة الطاراتي، سكة بير المشي، درب شعلان، عطفة النوبي) وكثير من أمثال هذه الأسماء التي تضحك غير المصري لغرابتها عنده .

محطة السكة الحديد وميدان بوابة الحديد:

محطة السكة الحديد وبوابة الحديد شيء واحد والمحطة عبارة عن بناية عظيمة ممتدة من الشرق إلى الغرب وهي مكونة من ثلاثة أدوار فالدور الأول مختص بأعمال الجمهور والبناية شبه بلد قائم بنفسه تقابلك واجهة البناية من ناحية الشمال مرتفعة مشرفة على الميدان وقبل الدخول تلفت نظرك إعلانات الشركات وعلى

الخصوص إعلانات بنك مصر وشركاته وهي بجميع الجدران على وضع ملفت للنظر للحروف الكبيرة البارزة.

تدخل العمارة فتجدها شبه عنبر ممتد على طول البناية يضم كل الأعمال التي تتصل بالجمهور ، وفي هذا العنبر القطارات جاهزة للسفر في داخل البلاد ، أما قطارات السودان فمن خارج هذا العنبر ويقولون يقوم كل ربع ساعة قطار لناحية من النواحي ، وبالمحطة مقهى أنيق تابع للسكة الحديد ولك أن تجلس فيه متى أتعبك الطواف ، إنما الطلب لبراد الشاي بكوب واحد هو ثلاثون مليماً عداً نقداً ، وهناك غرفة واسعة لغسل الوجه مقابل إسقاط ½ قرش في ثقب فتخرج لك فوطة وصابونة لعملية الغسيل ومحل آخر لقضاء الحاجة لا يفتح إلا بعد إسقاط ½ قرش.

تجد في وسط العنبر آلة معدة لمعرفة ميعاد قيام القطارات وهي شبه ساعة حائط تجد مكتوب عليها قطار كذا ويقوم كذا وقطار كذا يصل في الساعة كذا ، وهذه الكتابة تبدل من وقت لآخر أي بعد وصول وقيام القطار المشار إليه فواحدة من الآلات للوصول والأخرى للقيام ، كما تجد كشك للحلوى وما يحتاج إليه المسافر وآخر للجرائد اليومية وآخر للسجائر بأنواعها وأمام المحطة من ناحية الشمال تمثال نهضة مصر في أجل مظاهره وأبهى معانيه وهذا الميدان تستطيع أن تقول إنه أخطر ميدان من ناحية حركة المرور إذ تتفرع وتتصل به عدة شوارع ذات أهمية لذا تجد به ستة من الكونستبلات لضبط حركة المرور خوفاً من حدوث تصادم من العربات والترماويات والأتوبيسات (تورني كروفت) وبالجملة فإن الميدان أكثر أهمية من ميدان العتبة فعلى المار به أن يفتح عينه (قدر الريال) وإلا وقع فيما لا تحمد عقباه لأنه لخمة وزحمة تربك الخبير بالبلد العليم بها، أما الوافد المسكين فهذا يتحتم عليه الانتباه والحذر الشديد وإلا فسكناه القصر العيني مأوى (المكسورين والمدشدشين) .

القصر العيني :

القصر العيني اسم لمستشفى يقع في حي السيدة زينب وهو الدار الواسعة الهائلة ذات الأبواب المتعددة التي تستطيع أن تضم أكبر عدد من المرضى وذات الحجر الكبيرة والميادين المتعددة وهي حي لوحده ذهبنا إليه لمناسبة زيارة أحد الأقارب برفقة الأستاذ إبراهيم حسين الطالب بالأزهر بكلية الشريعة بعد أن تحصلنا على كرت من البرير لأحد العمال الذين لهم السلطة في إدخال الزوار. لما وصلنا الدار سألنا على الرجل فدلنا عليه أحد الحراس فلما دنونا منه رأينا جيشاً من الناس هذا يتوسل وذلك يتضرع ليعطيه إذناً بالدخول فلما ناولناه الكرت لم يتردد بل سلمنا رقعة صغيرة لنذهب بها إلى باب الدخول فوصلناه بعد لأي فتسلمها منا الحارس وجعلنا ندخل إلى الدار ، وهناك وجدنا حارساً آخر منعنا من الدخول قال الساعة ١ تدخلون ، فوقفنا عند المدخل فإذا بالكتل البشرية تتهال علينا من الخلف واليمين والشمال حتى خشينا من الاختناق . ولاحظنا أن هناك تساهل له ثمن خاص ولما كنا نحمل أمر الدخول صبرنا إلى أن حانت الساعة المعينة وفتحت الدار فدخلنا مع الداخلين. وهنا تسمع الصياح والضجة والجلبة التي تصم الآذان فصرنا نسأل أين عنبر الجروح وكان التمرجية يعرفون مرضاهم معرفة تامة فما زلنا نسأل وننشد ونلح في النشدان حتى وصلنا إلى الطابق الذي به المريض فوجدنا التمرجي معهم قابلنا مقابلة وسطى فإذا بالعنبر في غاية النظافة والمرضى بحالة طيبة وكل أهله حوله يسألون ويلحون في السؤال. وبالجملة المستشفى في غاية الأبهة والجمال والعناية بالمرضى تامة غير أن الجرائد كثيراً ما تندد بهذا المستشفى وهذا حال الناس بين مادح ولائم وكل يقول وفق مصلحته ومشاهدته الخاصة به ونظرته .

ولما سألنا مريضنا قال إنه معتنى به مع العلم أنه غريب وفقير ولا يملك شيئاً وقال إن الحكماء يمرون عليه أربع مرات في اليوم وكل يفحص ويقرر ولا يكتفي بقول بعضهم: إزيك. ويذهب لحاله ولا يكل الأمر إلى التمرجي والحارس فدعونا له وخرجنا .

الملاهي بشارع عماد الدين :

ذكرت سابقاً أن شارع عماد الدين هو شارع الملاهي والحركة الصاخبة وعلى الخصوص بعد الغروب حيث يؤم الناس دور الملاهي فأردنا في يوم من الأيام أن نلهو كما يلهو الناس أو نطبق العلم عملياً فذهبنا للشارع المذكور فأدى بنا المطاف إلى سينما النهضة فأخذنا تذكرة الدخول بمبلغ ٨,٥ قرشاً بما فيها ضريبة الملاهي ودخلنا الدار فإذا هي دار واسعة ذات مقاعد منظمة ومريحة ويسود السكون في جميع نواحيها فلما عرض الفيلم كان موضوعه الحج إلى مكة المكرمة وهي مناظر لجميع مواقف الحاج وكانت شيقة ومرغبة في الحج .

وفي اليوم الثاني تملكنا حب الاستطلاع إلى حد بعيد فلوح بنا إلى دار أو مسرح (بديعة) ويا شر ما رأينا ، رأينا الرقص الشهواني الخليع ، رأينا الإغراء ومقدمات العهر رأينا الأعراض تقدم على مذبح الشهوة فتملكنا الخجل وتمنينا أن نمنا هذه الليلة ، وتعاهدنا على أن لا ندخل مسرحاً ما دمنا في هذه البلد.

وفي الليالي الأخرى كنا نرتاد دور السينما التي تكثر في شارع عبد العزيز وشارع إبراهيم باشا حيث سينما كوزن وغيرها في غاية الأبهة والجمال والاستعداد التام غير أن بعضها باللغة الإنجليزية وهذه لا تعجب العربي غير (المستغرب) ، وبالجملة فإن دور السينما والمسارح هي مأوى جميع الطبقات بعد المقاهي الكثيرة لا فرق بين كبير وصغير وعالم وجاهل إلا من عصم ربك، وذلك ما يجعل السواد يندفع وراء المادة ليشبع نهمته كما يريد .

دعوة تكريم الشيخ عبد الرحمن أحمد:

تلقيت في مساء يوم ٣/٢٦ دعوة جماعة مستخدمي السراية الملكية للاحتفال بالشيخ عبد الرحمن أحمد مساء يوم ٢٧ وذلك بواسطة الأستاذ فلما حان الميعاد يممت الدار برفقة زميلي أحمد أفندي موسى التي تقع خلف مدرسة عبد العزيز أمام قسم الموسكي ، فلما ولجناها فإذا هي دار واسعة والجدران مغطاة بالخيم

فوجدنا جماعة من تجار السودان سبقونا إلى الدار وكلهم تضمهم غرفة واحدة من غرف الدار لسعته ، وبعد نصف ساعة من دخولنا دعونا لغرفة الشاي والفاكهة فإذا هي كأختها سعة ومنظراً ، وبعد أن فرغنا من تناول ما قدم لنا قام أحد الأفندية والقى كلمة جامعة تناول فيها عدة نواحي من نواحي الحياة ثم عرج على ذكر شيء من سيرة حياة الشيخ الحافلة بجلائل الأعمال ثم قام طالب من رابطة الطلبة النوبيين، وقال كلمته بحماس زائد وكان لها وقع بليغ في نفوس السامعين لأنها كانت كلمة الشباب بحق وحقيقة، ثم شاب ثالث ألقى قصيدة لا بأس بها وانفرط عقد المجتمعين كل يمم ناحيته.

فلما خرجنا رأينا أن نزور النادي النوبي بدعوة من الشاب النابه توفيق أفندي سراج الذي كان معنا بالحفل وهو موظف بالمالية ، وكان النادي على بعد خطوات من قسم الموسكي فلما دخلنا النادي قابلنا لفيف من الشباب النوبيين مقابلة حارة ثم جلسنا مع الرئيس محمد أفندي عثمان فقير والأستاذ محمد صلاح الدين الباقر، فإذا كل منهم يتدفق فصاحة ولطفاً ورقة فأكرموا مثوانا ورحبوا بمقدمنا ثم تجاذبنا أطراف الحديث والحديث ذو شجون فطرقنا كثيراً من المواضيع التي تتعلق بالنادي وبالسودانيين و النوبيين وبالنادي السوداني والعلاقة بين الناديين ، فكانت الأجوبة مرضية وسارة ثم ناولنا الرئيس نسختين من قانون النادي وعلمنا منه أن للنادي تيماً رياضياً لكرة القدم معترف به في الهيئات الرياضية وأن الحكومة تعطي هذا التيم معونة مالية سنوياً قدرها خمسون جنيهاً ، وأبان لنا كثيراً من مقاصد النادي ومراميه وأخيراً طاف بنا وزملاؤه على غرف النادي ومنافعه ثم عرج بنا على غرف المدرسة الليلية لتعليم الأميين القرآن والكتابة وتعليم اللغة الفرنسية للمتقدمين .

وبالجملة فإن روح النوبيين تدل على النشاط والجد والتضامن البليغ لأنهم أكثرية في مصر لا يستهان بها ولك أن تقول إنهم أحد العناصر التي تكون البلد ، ولهم كثير من المقاهي العامة يطلقون على الكثير منها أسماء بلادهم كنادي دبيرة، ولما هممنا بالانصراف ألح علينا الرئيس ورفقاؤه في العودة مرة أخرى فودعناهم شاكرين لشعورهم الحي وعواطفهم النبيلة نحو السودان والسودانيين ، ولسوء الحظ لم نتمكن من العودة إليهم مرة أخرى حتى مبارحتنا مصر.

الإمام الشافعي رضي الله عنه :

في الصباح الباكر ٣/٢٠ بارحت اللكوندة ورفيقي أحمد أفندي حيث كنا على موعد مع علي أفندي البرير فبعد مقابلته تأهبنا لتأدية الجمعة بالأزهر الشريف حيث لم نوفق لزيارته في الأيام السابقة . ولما انتهينا من الصلاة افترقت وزميلي لأمر خاص به فيممت العتبة ومنها امتطيت الترام الموصل للإمام . ولما كان جامع الإمام يقع بعد انتهاء الخط فسرت راجلاً إلى أن وصلت المسجد فدخلته من الباب الشرقي فأديت تحية المسجد ثم دلفت إلى الضريح ، فإذا هو يقع غرب المسجد يفصله منه جدار فهناك عظمة البناء الفاخر والعناية التامة بالضريح.

بالضريح كثير من النقوش والكتابة على الجدران وبالجملة فإن منظر الضريح منظر هيبة وجلال ووقار وبالحجرة أضرحة أخرى لسعة الحجرة ، ولما خرجت من المقام نبهني شيخ وضيء الطلعة على أن هنا أضرحة السادة البكرية ذرية سيدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهي تقع في يمين الداخل. عند الباب قابلني شيخ آخر ظهر لي أنه يرتزق من تعريف الزوار بأصحاب القبور ، وعند مدخل الباب شيخ ثالث يحتضن صندوق يعلوه ثقب وما أدراك ما الصندوق والثقب وهو صندوق الزيارة والنذور والثقب لطرح النقود إلى جوف الصندوق الأمين. فلما توسطت الحجرة الواسعة رأيت بها عدداً من القبور ونساء حولها يدعون دعوات حارة بأصوات مرتفعة فقرأت الفاتحة وعدداً من الأدعية لأرواح الأموات ، وخرجت من حيث أتيت بعد أن نفحت الواقف بالباب شيئاً من الملاليم لأنه كان يقوم بشرح ما يشكل مع توضيح أسماء أصحاب القبور ، مع أن الكثير منها مكتوب عليه اسم صاحبه وبعض آيات قرآنية . ولاحظت أن النساء يكثرن عند مدخل باب الجامع والحارس يحرص ألا يدخلن من باب المسجد بل يدخلن من باب آخر معد للنساء ، كما أعتقد. وكثير منهن يأتين على عربات الكارو ذات البغال والحمير زرافات ووحدانا يكون بتجمهرهن جيشاً تعلوه الملاءة (اللف).

ولما فرغت من هذه الزيارة يممت ميدان الأزهر الشريف مستعملاً الفراسة لأنها المرة الأولى التي أذهب فيها بدون رفيق ودليل، فقطعت كثيراً من الأزقة والحواري العارية من جميع لباس المدينة القديم والحديث وأنها على الطبيعة كما خلقها المهندس الأول، فإذا أنا بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان كدرب الأنسية (وعطفة الدود) ودرب الفن ، وبعد لأي وصلت إلى شارع الأزهر ومنه اهتديت إلى لكوندة الأزهر، وأنا منهوك القوى من هذه الرحلة الطويلة حيث كنت أسير على غير هدى فقط تخيلت ناحيتي وقصدتها قصداً فجلست على مقهى يقع تحت اللكوندة ثم طلبت قدحاً من الشاي لعله ينبه ما فتر من أعصابي فإذا بحضرة الشيخين محمد الحسن الجعلي وجعفر محمد الأمين الجعلي الطالبين بالأزهر ، وهما من بربر يشرفان ، حيث كان الأول رفيق سفرتنا من السودان إلى مصر فشكرت لهما عنايتهما واهتمامهما بأمرنا ، فدعوتهما للصعود لغرفتنا بعد أن تناولنا الشاي لنؤدي صلاة العصر فأجابا ثم جلسنا نتجاذب أطراف الحديث مرة عن السودان وأخرى عن مصر ، فعرضنا السودان على المشرحة وكان الثاني أكثرهما اهتماماً بالسودان وكانت كلماته كلمات الشباب المتحمس أما الأول فكان حكيماً يضبط عواطفه كثيراً ولا يتكلم إلا بقدر معلوم فعلمت منهما أن حياة الأزهر مرة وأنهم يلاقون الصعاب لأن الرواق السنارى فقير وكل ما يتناوله المنتسب هو مبلغ ٣٤ قرشاً لا غير هي التي يعيش عليها الطالب الذي لا معين له ولا نصير إلا صبره وإخلاصه لمطلبه الشريف ، وهذه حالة تحزن كثيراً. وقد فكرت في مقابلة الشيخ المراغي بمعية الشيخ عبد الرحمن أحمد وغيره من السودانيين الموجودين بمصر نلتمس منه العناية بالطلبة السودانيين للسبب المتقدم فوافقني مبدئياً ، ولكنه في اليوم الثاني عدل عن فكره فكانت صدمة حيث لم أجد الرفيق وما ا ستطعت أن أقابل غير هذين الطالبين ، فعلمت من الجميع أن الحالة سيئة من الناحية المادية وأنهم في حاجة للمعونة لأن جلهم هاجر للعلم بدون أن يعتمد على أحد ما . وبالجملة فإن الطلبة السودانيين لا يقلون عن إخوانهم المصريين مع عدم توفر الراحة

المطلوبة لطالب العلم ، ولعل الأيام تهيئ لهم المعونة من السودان ومصر معاً فصبراً جميلاً .

جامع الرفاعي رضي الله عنه:

العظمة والأبهة وجمال الفن المعماري يتجسم كله في جامع السيد الرفا عي الذي أفرغت فيه يد الصانع القدير جميع معاني البهجة وسر الهندسة البديع. رأينا أن نزور هذا الجامع في غير الجمعة لأنه كان قريباً من نزلنا الثاني. فيممناه صبيحة ١٩٣٦/٣/٢٣م فدخلنا من الباب الغربي وبعد أن أدينا تحية المسجد تقدمنا لضريح السيد الذي يقع وسط الجامع تقريباً فإذا هو محاط بسياج من خشب ولا شيء على الضريح سوى غطاء من الجوخ الأخضر يلفت النظر كثيراً ، فأدينا الفاتحة لروح السيد الرافعي ثم طفنا بجيمع نواحي المسجد فإذا بجميع المسجد مغطى بالبسط الكبيرة الجميلة وبه كثير من النجف للإنارة وهي بأشكال بديعة جذابة لوضعها الجميل ومنظرها الأنيق ، الجامع نفسه يرتفع كثيراً عن سطح الأرض ومنارته ترتفع بنحو ٦٠ متراً تقريباً ، أما القبلة المقامة على الضريح فإنها تدهش كثيراً من حيث الزخرفة والارتفاع ، وتكون أجمل منظر في حالة انعكاس نور الشمس على داخلها وفي الناحية الشمالية من الجامع مدافن العائلة المالكة وفيها أيضاً ردهة واسعة لجلوس الزائرين من العائلة. والمقابر التى بها المدفنة في غاية الأبهة والعظمة والوضع الفني الجميل والنقوش الزاهية آيات قرآنية وعظات . وبالاختصار فإن جامع السيد الرفاعي آية من آيات الفن المعماري فإنه يدل دلالة واضحة على العناية التامة بهذا المسجد يوم بني وأن العناية به ما زالت تتجدد لأن جلالة الملك فؤاد الأول يؤدي به صلاة الجمعة في بعض الأحيان . ومن هذا يحق لك أن تحكم بأنه الجامع الأول ، وفي يوم الجمعة لا تستطيع أن تجد محلاً ما لم تبكر إليه وشمال هذا الجامع جامع السلطان حسن الذي سأقصه عليك وميدان محمد علي باشا الكائن تحت القلعة تطل عليه ثلاث جوامع أخر. وجامع محمد علي العظيم يشرف عليها من القلعة الخالدة بمنائره المتعددة البديعة

المنظر ، كلها تطل على هذا الميدان الفسيح الذي به محطة الترام والتورني كروفت والتاكسي ومن ناحية الشمال الغربي قسم الخليفة .

جامع السلطان حسن الأثري:

جامع السلطان حسن الأثري يقع خلف جامع الرفاعي يحدهما شارع جميل الهواء عندما تكون به تشعر بالبرد الشديد ولا تعلم من أين مأتاه وأن هذا الجامع آية من آيات القوة والمتانة غير أن الزمان عدا عليه فغير معالمه وطمس الكثير من محاسنه الرائعة غير بقية باقية في القبة القائمة على ضريح السلطان وفي وسط القبة قبر السلطان وفي محراب القبة أثر دم مسفوح قليل هو دم الوزير بردق الذي ذبحه السلطان حين تمرد عليه . وبجدران المسجد أثر القنابل التي قصف بها نابليون الجامع يوم احتل مصر وترى قنبلة بائنة تحت قاعدة المنارة الشمالية . وكان باب الجامع مطعماً بالذهب الوهاج وكثير من مرافقه مطعم به أيضاً فسطا عليه نابليون وأعوانه فنهبه كما نهب الكثير من نفائسه العظيمة. وارتفاع القبة- قال مخبرنا - ٦٦ متراً وبالجامع كثير من الغرف والحجر عند المدخل وحول الصحن ، أما الجامع نفسه فبه أربعة حجر خصصت كل حجرة لإمام من الأئمة الأربعة ولا فرش في الجامع ولا القبلة إنما الجامع مفروش بالرخام الذي تغير شكله بطول الزمن والإهمال وكذا أرض القبة ، غير أن بالقبة كثير من النقوش وآيات قرآنية وتاريخ بنائها مكتوب بالثلث من الداخل سنة ٩٦٤ هـ ومما يؤسف له أن الجامع تصدع من جميع أركانه ويد البلاء امتدت إلى الكثير من نواحيه بل دكت بعض المنافع التابعة للجامع من الناحية الشمالية حيث الميدان ذو الأشجار الجميلة والحشائش الجذابة ذات المنظر البديع لأن العناية بها عظيمة، تلاحظ الجنايني في كل صباح يسقى ويهذب ويشذب الأغصان المتدلية الشامخة على أقرانها الجامحة على جنانها .

وإذا أردنا أن نتتبع الجوامع وما فيها لضاع منا الوقت ولعجزنا عن الحصر والعد وقد اكتفينا بالعمد منها والأعيان البارزة لأن في كل حي جامع وأكثر وفي كل شارع وفي كل عطفة جامع وجوامع حيث كان الولاة مسلمين وحيث كانوا يتوددون

إلى الرعية بإقامة معالم الدين وحيث كانوا يخطبون ودهم بالتردد على المساجد ولكل جامع وقف ولكل جامع عين تقيه من عاديات الدهر وكلها الآن تحت رعاية الأوقاف العامة ، فرحم الله مقيمها ورحم الله ذاك العهد السعيد المجيد عصر عظمة الإسلام والمسلمين يوم كان الناس على دين ملوكهم .

احتفال الأزهر الشريف بعيد رأس السنة ١٣٥٥هـ :

في صباح يوم ٣/٢٤ تحركت من الدار بمفردي فذهبت لمكتب البريد لتناول البريد ثم يممت ميدان الأزهر مشياً على الأقدام لمقابلة الدكتور أحمد صديق ثم عدت إلى الدار فلبثت فيها إلى الساعة الخامسة مساء ثم تأهبت ورفيقي لشهود حفل الأزهر برأس السنة الهجرية إذ علمنا بأن الاحتفال عظيم وكانت المعدات والاستعدادات تدلان على الاهتمام . وفي منتصف الساعة الخامسة خرجنا وجهتنا الأزهر لنتمكن من حجز المحل الذي يقربنا من الخطباء ، فلما دخلنا المسجد رأينا حركة وضوضاء وجماعة الأزهر يتجمهرون هنا وهناك وآلات الراديو تمتد إلى كل ناحية من نواحي المسجد . ولما كان ابتداء الاحتفال على رأس الساعة الثامنة رأينا أن نصلي المغرب ثم ننصرف إلى أقرب مقهى ، فلما أذن المغرب أدينا المكتوبة ، وكانت الأنوار تأخذ بمجامع القلوب على رسومات مختلفة الوضع منها رسم مربعات ومثلثات وبيضاويات وآخر رسم تاجر مكتوب عليه فليعش الملك ، ولا غرابة فإن الاهتمام مضاعف لأنه أول احتفال يحضره الشيخ الأكبر المراغي . وكنت ترى الشوارع غاصة بالأزهريين وهم ينحدرون على الأزهر كالسيل الدافق فلما حان الميعاد غادرنا مقهى خان الخليلي الكائن خلف مقام السيد الحسين رضي الله عنه وقصدنا الأزهر ، فإذا الزحام والهرج قد بلغ أقصاه وكله عمائم أزهرية وتأخذك الدهشة إذا علمت أن عدد الأزاهرة هو ١٤ ألف طالب وكلهم يشهدون هذا الحفل ، يفدون إليه من الكليات التابعة للأزهر ، فإنه عدد كاف لأكبر احتفال كما هو كاف وكان كافياً لأكبر شغب ولأكبر تهريج ولأكبر مظاهرة عمياء خرصاء ، وعند الساعة الثامنة خاطبتنا آلة الراديو بقولها

"يفتتح الاحتفال بأي الذكر الحكيم" ، وذلك بعد أن دخل العظماء والوزراء ورأينا من بينهم محمد محمود باشا وصدقي باشا ورفعت باشا وطلعت حرب، وبعد قليل قالوا أتى النحاس باشا، فإذا بالهتاف والجلبة المتصاعدة من الحناجر القوية تصم الآذان فلما هدأت الضجة خاطبنا الراديو مرة ثانية بما معناه الزموا السكينة واحفظوا النظام كما يحب الشيخ الأكبر ، فاعترى الناس وجوم وصمت بليغ كأن على رؤوسهم الطير ثم ابتدأ الشيخ يقول كلمته الجامعة عن الهجرة النبوية وكيف كانت، بلغة فصحى وأسلوب بليغ فكانت آية من آيات البلاغة العربية قوبلت بالتصفيق الحار ثم أعقبه الشيخ شلتوت المدرس بالأزهر فأبدع أيما إبداع وأجاد كل الإجادة فتكلم عن الهجرة ومعنى ونتائج الهجرة وهجرة القلوب وتتخلل كلماته آيات الذكر الحكيم التي تناسب المقام ، ثم خاطب الشيخ بقوله: " آمال الشرق تتعلق بك وإن جلالة الملك وضع ثقته في شخصك وأن أخوانك المشائخ والطلبة رهن إشارتك ، فلو أمرتنا أن نخوض البحر لفعلنا." وكل مرامي الكلمة كانت حماسية لاخر حد ومؤثرة كل التأثير قوطعت بالتصفيق الحاد ، ثم أعقبه شيخ آخر بقصيدة عصماء ثم الشيخ عبد الحكم المقرئ الشهير الذي يقف المارة عند الراديو في ساعة قراءته في الإذاعة ، وكانت الخاتمة وانفض الاجتماع في الساعة ٩:٣٠ فخرج الناس كالسيل الدافق ، كل يحرص على نفسه وجيبه ، وفي كل هذه المدة كان يرافقنا الشيخ جعفر محمد الأمين وعبد الوهاب القاضي ، فودعناهما وذهبنا لدارنا بحي المنشية.

نمت ليلتي في أشد حالات التعب من ألم الحبوب التي ألمت بي عقب وصولي مصر مباشرة ، وهي كما يقولون من تغيير الماء ، والحق أنها اتعبتني كثيراً وأسهرتني كثيراً، وكرهتني في الإقامة بمصر ، ولولا ارتباطي بالذهاب للقدس لعدت إلى السودان أفضل العودة بخفي حنين من الإقامة بذلك التعب الممض ، ولكن بعد الأسبوع الثالث بدأت تتلاشى رويداً رويداً بعد أن استعنت عليها بجميع العقاقير والمراهم والاستحمام بحوض السباحة بحلوان ، وأنهم يقولون هذا دأب من يأتي مصر للمرة الأولى وربي سلم أن لا هرش عندي ، أما الأخ ماهر والأخ أبو زيد هلال فكانا يهرشان

ويشكيان من الهرش ولو أنهما كانا أقل مني قروحاً ، وقد طمأنني بعضهم بأني سأكون سميناً في المستقبل .

والحق أن هذا التغيير هو أصعب ما يلاقي نزيل مصر ، والأعجب لا دواء له يشفي حتماً ، إنما هو تلطيف وترفيه عن المصاب به لا غير .

أما بناية الأزهر فإنها بناية هائلة والجامع يقع وسط المباني التي هي أروقة للجنسيات ، كرواق السنارية ، ورواق المغاربة ، ورواق الأتراك، ورواق الأحباش، الخ .

وفي نية الحكومة ضم جميع المباني المجاورة للأزهر لتكون جميع كلياته بالقرب منه لأنها الآن تبعد عنه كثيراً وبعض الطلبة لا يحضر للأزهر إلا الفينة بعد الفينة لعدم اتصال دروسه به ، وإلى هنا نقف عن الكلام عن الأزهر .

الجمعة بجامع الرفاعي:

رأينا أن نؤدي فرض الجمعة بجامع الرفاعي الذي وصفته لك سابقاً، فوصلنا إليه في الساعة ١١:٥٠ فما زال يتوافد الناس حتى امتلأ بهم الجامع على سعته ، فلما حان الوقت أذن المؤذن أذانه الأخير، وبعد قليل طلع علينا الإمام وهو في مقتبل العمر فاعتلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه الصلاة والسلام ثم تلا آيات بينات وكان موضوع الخطبة العامل والعمال ، فإذا هو يوصي أصحاب المصانع بالرفق بهم ومعاملتهم على أساس العدل والدين ومراقبة وجه الله فيهم ، وهم قوام حياة الكبراء والعظماء وأرباب الثروة ، ولولاهم لما وجدت هذه المصانع ولما ذللت المصاعب ، فظلمهم وبخسهم حقهم عدوان ، واسترسل في الموضوع وهو يرتجل الخطبة ارتجالاً فلا لعثمة ولا تأتأة ولا فأفأة ، إنما هو انسجام وربط للمواضيع وذاكرة قوية تعي وتذكر ما تقول ، وهذا الخطيب مثال لهيئات الوعظ والإرشاد الحديثة ، وفي كثير من الجوامع تجد أمثاله أو ما يقرب منه ، إلا أنه في بعض المساجد بقية من الفئة القديمة التي تستمد من الدواوين التي ألفت لغير هذا العصر الذي يكثر فيه الفساد المبتكر ، صدق أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حيث يقول تحدث للناس بقدر ما يحدثون من الفجور،

وكذلك يجب أن يحدث وعظ يناسب ما يحدث الناس من الفجور ، وإلا لذهبت روعة الوعظ وجلاله فسرنا هذا الالقاء الرزين ، وبعد الصلاة اعتلى منصة صغيرة وبدأ يكمل الكلام على العامل ، وفضل العمال على الهيئات الاجتماعية ، ثم خرجنا من الجامع وجهتنا القلعة .

القلعة ودار محمد علي باشا وجامعه:

لما كان للقلعة ما لها من الشهرة والمكانة الحربية والتاريخية صممنا على الوقوف على جلية أمرها فذهبنا إليها مشياً على الأقدام فدخلناها من الباب الشمالي فوجدنا حارسين أحدهما انكليزي والآخر مصري يقفان على باب دهليز كبير يمتد إلى داخل القلعة ، فمررنا عليهما بعد تحية خفيفة كتأدية واجب ولم يسألا ، فعلى يمين الداخل تقع معسكرات الجيش المصري قريبة من الدهليز تتبعها الورش التي يأتيها العمال والصناع يومياً من البلد ، وكلما توغنا إلى الداخل تلاقينا خرائب وتلال وأحجار مبعثرة هنا وهناك ، فكأننا بدور غير مسكونة ، حتى وصلنا البئر التي سجن بها سيدنا يوسف الصديق عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، ولم تفتح لنا حيث قال لنا الحارس ممنوع فتحها وأن مباني مدخلها متداعية ، وهناك آبار أخرى مضروبة بالحجر الطويل المتين في شبه قالب وكلها محاطة بسياج من الخشب وا لأسلاك لأنها عتيقة يخشى على الناس من السقوط فيها ، وفي كل هذه الجولة لم نشاهد غير الخرائب والتلال والأحجار ولكننا نرى جميع البلد تحتنا ذات مبان صغيرة لارتفاعها عن سطح الأرض ارتفاعاً هائلاً ، حيث كنا نصعد إلى القلعة صعوداً نشعر معه بالتعب الشديد ، وكل منا يحرك صاحبه هيا هيا إلى الأمام ، ثم يممنا سراية محمد علي باشا الكبير ، وهي عبارة عن عدة مبان متصلة ببعضها ، فوجدنا حارسين على بابها فدخل بنا أحدهما الدار وصار يدخلنا من غرفة إلى أخرى إلى أن وصل بنا إلى غرفة الجلوس إلى الغرفة التي حصلت بها المجزرة التاريخية مجزرة المماليك ، حيث فتك بهم محمد علي باشا ، وهنا هلل كل منا وكبر لعظم الكارثة فسبحان محول الأحوال ومزيل الدول ومسلط من يشاء على من يشاء ، وهو الباقي وكل شيء هالك إلا

وجهه، فتجاوزنا الغرف إلى الناحية الشمالية فإذا نحن بحوض به نافورة وسباع على جوانب الحوض يخرج الماء من أفواهها يوم كانت عامرة إلى عهد قريب ، وهنا واجهنا الجامع البديع الوضع المرتفع ارتفاعاً هائلاً فلم يأذن لنا بالدخول لأنه تحت الترميم والتجديد لبعض نواحيه ، فأسفنا كثيراً لعدم الوقوف على نقوشه وجمال الفن ، ثم عرج بنا على غرفة حمام المرحوم محمد علي باشا ، وهي مبلطة بالرخام وكذا جدرانها ، وبها محل كان معداً للماء ليؤدي وظيفة الدش ثم سألنا الحارس عن عدد الغرف ، فقال ٣٦٠ على عدد أيام السنة اما النقوش التي على جدران بعض الغرف قال إنها من النقوش التي بجامع أيا صوفيا بالآستانة الذي كان من قبل كنيسة ، أما القسم العامر في القلعة فيحتله الجيش الإنكليزي ، وفي هذا المكان يمكنك أن تشاهد مصر من أولها لآخرها ، لا يحجب عنك منها شيء ، رغماً من البنايات الشاهقة التي تناطح السحاب ، ثم خرجنا من ناحية الشرق على قرقول انكليزي وجهتنا الشيخ المغاوري الذي يقع في الشرق الجنوبي من القلعة ، فوصلناه بعد ربع ساعة ، وفي طريقنا مررنا على مخازن الجبخانة المصرية داخل سور كبير محصن بالأسلاك الشائكة تحرسه ثلة من الجند الإنكليز.

جبل الشيخ المغاوري:

طلعنا الجبل بسلالم منظمة لأنه يرتفع عن سطح الأرض كثيراً ، وبعد لأي وصلنا المباني الصغيرة الجميلة التي تقع أمام مدخل الجبل وهي محكمة البناء يسكنها جماعة من عجزة الأتراك ، وهي كتكية تركية وأمامها أشجار وأنواع من الزهور ذات المنظر البديع ، ولعلهم جلبوا التراب الصالح للغرس من محل آخر لأن هذه الأشجار والزهور على قطعة من الجبل ، ثم هممنا بالدخول على المغارة الممتدة إلى داخل الجبل فإذا بشيخ أكل عليه الدهر وشرب ذي لحية كثة جللها الوقار ويحتضن صندوق الزيارة والنذور للشيخ المغاوري الذي تهاجر إليه النساء فتعديناه غير عابئين به فنظر إلينا شذراً وأراد التشفي من أحدنا فقال اخلع نعلك يا هذا فرضخ الزميل لأمره ،

ودلفنا إلى داخل المغارة فإذا بها قبور متعددة وكلها مكتوب عليها آيات قرآنية وكلمات بالتركية لم نفهم معناها ، فما زلنا نتوغل حتى وقفنا على ضريح الشيخ المغاوري رضي الله عنه ، وهناك جيش من النساء يصحن ويضحكن ويستغثن فلم نستطيع الوصول إلى الضريح ، وبدأنا نشعر بالظلام الذي لا يمكننا من الرؤية الكاملة مع العلم أن الساعة ١ ظهراً ، فرأينا الأفضل الرجوع إلى الوراء ونكتفي برفع الفاتحة لروح الشيخ في هذا المكان ، أما ضريح الشيخ فإنه في آخر المغارة داخل سياج من الحديد ومكتوب على الباب (هذا مقام قيقور سلطان) وفي يمين الداخل حظيرة صغيرة بها محراب يجعلها شبه جامع ولكن يحتله النساء والشبان وهم يأكلون ويشربون ويتكلمون ويضحكون كثيراً لأن هذا الجبل بعيد من البلد فلابد للذاهب إليه من الزاد الكافي ، وهناك كلام يقوله بعضهم كما نقول نحن في الأضرحة (الشيخ حسن) و(جليس) و (البيان) وبالجملة فإنها حالة لا ترضي المسلم الذي لم يفسده الاعتقاد الأعمى الذي يوصل إلى الشرك والإلحاد . وما الحيلة والعقائد هي العقائد والتقاليد هي كما في السودان ، فخرجنا بعد هذه المشاهد المضحكة المبكية ، وبالجملة فإن الجبل متخذ جبانة للأتراك من عهد بعيد لأن الفراغ الذي به كبير والمقابر منظمة في الوضع ، ولا شك أنه من فعل فاعل ليس للطبيعة دخل وبداخل الجبل أسلاك النور (الكهرباء) فلما عدنا للبلد مررنا على سجن (قرا ميدان) وهو بناية جميلة من دورين مبيضة بالجير ، ويقال إن بهذا السجن حسنى السلوك والذين قرب الإفراج عنهم ، أما الحي الذي به السجن فحي أهلي جداً به كثير من المباني الحقيرة والمتداعية ، وبه كثير من الكماين لحرق الجير لأنه يقرب من القرافة لوقوعه في الشمال من الجبانة الكبيرة المشهورة بالقرافة ، حيث الإمام الشافعي وقبور كثير من عظماء مصر وهي شبه منازل عامرة كما في بعض البلد .

حدائق الحيوانات:

في الساعة الواحدة بعد الظهر يوم ٣/٢٢ تحركنا بالثورني كروفت من ميدان الأوبرا وجهتنا حديقة الحيوانات وبعد نصف ساعة من قيامنا وقف بنا عند مدخل الجنينة فدخلنا بدون رسم ، ففي شمال الداخل حجر الطيور المحنطة وهياكل الحيوانات المختلفة الأنواع وأيضاً أنواع الببغاء وترع التماسيح ، أما متحف الطيور فإنه مكون من عدة حجر ، فعند مدخل الغرفة الأولى رأس سمكة هائلة ويوجد نوعها في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر . وفي يمين الداخل دواليب من الزجاج بها الكثير من أصناف الحيوانات (الفئران) (الوطواط) (أبو خلاف) (قنفد النحل) (فالقنفد الجبلي) فأنواع (الثعالب) بأنواعها فالكتمور (فأنواع الغزلان) و (الأرايل) (أبو حرية) (كبش جبلي) ، فأنواع من النعام فدولاب آخر به أنواع متعددة من الحيتان (شبح البحر) (سبع البحر) وهناك دولاب به جمجمة فيل أهداها اليوزباشي عبد الله النجومي، فهيكل عظمي لفيل هندي فتعدينا هذه الغرفة للغرفة الثانية فإذا بها أنواع من الطيور الغريبة الشكل (كطائر البطريق) الذي يقف على رجليه معتدلاً فنوع من النعام يقال له (كوري) فنعام أبيض صغير فغراب البحر الذي يتغذى بالسمك فمالك الحزين فالبلشوني الأمريكي ، ثم أنواع الصقور منها الكبير والصغير ، فأنواع الوز والبط فالعقبان والنسور ، فأنواع الطواويس ودجاج البر فطير أحمر المنقار اسمه فرح سلطاني ، ثم دولاب آخر به أنواع من الطير التى توجد بساحل البحر ، فأنواع من الحمام الزاجل ، وبالجملة أنواع من الطيور لا حد لها .

ثم دخلنا الغرفة الثالثة فإذا بها دواليب أيضاً بها أنواع من الترس (أبو القدح) منها الكبير الهائل والوسط والصغير مع اختلاف فى الألوان ، فدولاب التماسيح ، فدولاب الثعابين والأصلة ، ولكل نوع اسم خاص به مكتوب فى بطاقة صغيرة ، فأنواع من الهياكل العظيمة للكتمور والأرايل ثم دولاب به أنواع من الفهود وأنواع من الحيوانات التي تشبه القرود الصغيرة اسمها (حلاجد) وكل هذه الهياكل

المحنطة موضوعة وضعاً حكيماً منظماً في دواليب غاية النظافة والعناية حيث يقصدها طلبة المدارس للدرس والاطلاع، وبعد زمن ليس بالقليل خرجنا من هذا المتحف الجميل الرائع إلى مشاهدة الحيوانات الحية فمررنا على ثلاثة أفيال ، اثنين مسرجيين يركبان بالأجر لمن يريد من الرجال والنساء والصبيان ، ففي أثناء وقوفنا طلب جملة من الصبيان الركوب بعد دفع الرسم للعسكري القيم على هذه الفيلة فما كان منه إلا أن أدنى المسرجين من سلم معمول خصيصاً فلما قربا منه طلع الغلمان السلم ثم استووا على سرج الفيلين فذهبا بهما بكل هدوء وسكينة يقودهما عسكريان يرتديان زياً خاصاً بحارس هذه الحديقة العامرة بالحيوانات الأليفة وغير الأليفة .

وفي طريقنا مررنا بجبل صناعي معمول من الأسمنت وبه عيون من الأنابيب يتدفق الماء منها إلى حيضان الحيوانات من عيون متعددة وعلى الجبل بعض الأشجار الصغيرة والزهور تكسبه شكلاً جذاباً لطيفاً. وإذا نحن بترعة بها فرس البحر يخرج منها بحركة من الحارس ليطعمه ثم يغوص في الماء ، وهو من النوع الكبير الحجم المريع ، وترعة أخرى بها سبع البحر وهو نوع من الحيتان ولكن يخالفها كثيراً ، لإدراكه الغريب ، وقد ذكرت شيئاً من إدراكه عند ذكر ملاهي الحوض الزراعي ، وفي هذا المحل يأتي بحركات تدل على إدراكه .

ثم مررنا على حظيرة البلشون وهو طير أبيض ذو أرجل طويلة ، فحظيرة (اللقالق) ، وما زلنا نطوف من محل إلى محل نستعرض الأنواع الكثيرة من الحيوانات إلى أن وصل بنا المطاف إلى غرفة الأسود ، فإذ بها أسدان ولبؤتان يذرع الأسدان الأرض جيئة وذهاباً وهما من السودان والحبشة ، ثم غرفة النمور بها نمران عاديان ونمران أسودان ومررنا على نوع من الدب الأبيض الذي يقطن شواطيء البحر القطبي ودب أسمر يقطن أوروبا وآسيا ودبان روسيان وأنواع أخرى من مختلف المناطق ، ولما كان الدب الأبيض لا يصبر على البعد عن الماء فمصنوع له جبل من الأسمنت تتدفق منه المياه على حيضان صناعية يأوي إليها الدب ويسقط فيها كثيراً ، مرة بعد أخرى بلا انقطاع،

ولما طال بنا التنقل من محل إلى اخر شعرنا بالملل والسأم فعدلنا عن المرور مع أننا لم نقف على كل ما بالحديقة لأنها مترامية الأطراف ، فمن الصعب إدراك كل ما فيها.

وبالجملة فإن فيها كثيراً من الحيوانات كالفندة أم قرن وغيرها مما لا يحصى ولا يعد .. أما وضع الحديقة فإنه وضع محكم جميل وجالب للسرور والفرح لتعدد الميادين والمجالس التي يأوي إليها السائح وكلها مزدانة بالزهور المتنوعة ذات المنظر البهيج كما بها كثير من البرك الصناعية التي يأوي إليها الوز والبط للسباحة .

ومكتوب على كل ربوة تغطيها الزهور (ممنوع قطف الزهور) لكيلا يعبث الزوار بها فيطمسون شكلها الجميل الجذاب ويشوهون روعتها .

وفي إيابنا مررنا على كبري الزمالك الواقع في آخر شارع الملك فؤاد الأول، فكبري بولاق ، وما بين الكبريين يسمى (الجزيرة) وهي التي أقيم فيها المعرض الزراعي عام ١٩٣٦ ، فوصلنا الدار بعد أن أنهكنا التعب ، فنما ليلتنا كما ينوم المسافر المتعب إلى أن أدركنا الصباح ، والصباح هو يوم شم النسيم بمصر ، وشم النسيم بمصر له حديث وله شأنه وله حوادثه التي تكون حديث الصحف والصحافيين والشغل الشاغل لرجال البوليس والأقسام ، فانتظر حتى أمر بك على حديقة الأسماك يوم شم النسيم العيد القومي للمصريين والنزلاء معاً .

حديقة الأسماك يوم شم النسيم :

في الصباح من يوم شم النسيم فتحنا نافذة الشقة المطلة على الشارع العمومي فإذا بنا نرى جميع المتاجر والمصانع لا أنيس بها ولا جليس ، فتذكرنا شم النسيم فتكلمنا عنه كثيراً ، وأخيراً قر الرأي على أن نشم النسيم كما يشمه أهل البلد مع الفارق ، فتفاوضنا في الناحية التي نقضي فيها اليوم فوصل بنا التفكير إلى جنينة الأسماك حيث لم نرها وقد سمعنا أنها دار للنزهة ، ومن فورنا ارتدينا ثيابنا وقصدنا الترام الذي أوصلنا إلى محطة العتبة ومنها يممنا دار الأسماك التي تقع في الزمالك ، فما زلنا نمشي ونمشي إلى أن قطعنا كبري امبابة ومنه عرجنا إلى حي

الزمالك المنظم الجميل الذي به دور وقصور كثير من العظماء لأن هذا الحي أو القسم من المدينة وضع على آخر نظام ، فلا تمر بدار إلا وتجد حولها وأمامها الأشجار والزهور والحدائق المنسقة ، فما زلنا من شارع إلى شارع سائلين عن حديقة الأسماك حتى قابلنا أحدهم ، وقال قولوا شارع الجنينة فقلنا شارع الحديقة يا سيدي ، فما زلنا نقرأ اللوحات حتى وصلنا باب الدار بسلام فنفحنا الحارس رسم الدخول ، فلما هممنا بالدخول نظر إلينا نظرة من يفتش على شيء ولا شيء سوى الطعام ، فإنه ممنوع الدخول به الحديقة حيث هناك محل معد للمأكولات ولكنها غالية غلواً لا يتناسب مع الطبقة الديمقراطية ، ولما ولجنا الحديقة واعترضنا الجبل الصناعي ذو الطرق المتعددة ، فما زلنا ندخل من زقاق إلى آخر وفي كل ناحية من نواحي الجبل حوض واجهته من الزجاج وبه نوع من السمك ، فما زلنا نقف بكل حوض حتى عددنا ٢٤ نوعاً من الأسماك ذات المناظر البديعة، وأبدع منها صنعة الاحواض وجمال الماء بها وأجمل منه حركات الحيتان حين يشخص إليها النظار وهم يتدافعون بالمناكب ، ولما فرغنا من هذا التجول طلعنا سفح الجبل فإذا به أنواع من الزهور منها الأحمر والأبيض والوردي والبنفسجي، ولما أعيانا الطواف جنحنا إلى مقعد ، فبعد أن استرحنا قليلاً طفنا نواحي الحديقة فإذا بها ترع صناعيه وبها فلائك صغيرة تدار بالرجل بواسطة محرك صغير وكل أرض الحديقة مفروشة بالزهور وبها كثير من الأشجار ذات المنظر الجميل الحسن ، فما زلنا نسرح النظر ونمتع الفكر بهذه المناظر حتى أدركنا الظهر ، وعصافير البطن تنادي (أدركوني) لأننا لم نحمل شيئاً يؤكل ولا نستطيع شراء تلك الألوان "لقصر الديل" فرأينا أن نكتفي بهذا القدر ونرجع إلى دارنا العامرة . أما أهل البلد وأما رواد المرح والملاهي والملاذ ، فإنهم لا يؤبون إلا أخريات الليل بعد أن يزدردوا كل ما معهم من مأكل ومشرب ، وما أدراك ما المأكل فهو كل ما في الدنيا ، وفي المقدمة الفسيخ والبصل، والمشروب هو بنت العنقود فإنك تجد العائلة بأكملها تحتل قطعة من الأرض وتنزل خذ يا أكل ، وهناك طبقة العشاق وأولاد وبنات الهوى وكل منهم له محل خاص حيث تكثر النواحي التي يقضي بها هذا اليوم السعيد.. وأما

حديقة الأسماك هذه فلا شيء فيها من العربدة وسوء الأدب ، سكون وهدوء وأدب ، وللمسخرة محلات تبعد عن الرقيب والواشي ، لذا تجد الأقسام تكتظ بمرتكبي المخالفات ، وقد يلاقي البوليس ضروباً من الآلام في مثل هذا اليوم الذي يكثر فيه البشر حيث الاستعداد له يقوم على قدم وساق من عدة أيام ، فإذا حل اليوم سكروا وطربوا ودخلوا السجن بثغر باسم ووجه باش . وهناك أناس يقضون هذا اليوم خارج مصر بالأرياف والجبال بقطر المفاجآت وهو قطار بل أكثر من قطار تعده سكة حديد مصر ولاتعلن عن الناحية التى يقصد إليها قط بل يقطع الركاب تذاكرهم ويذهبون حيث شاءت السكة الحديد والسائح نفسه لا يعرف وجهته إلا إذا أعلن الرئيس بصفارته الأخيرة وأعطى السائق التابلت ، فعند ذلك يعرف الناحية فيقيمون بها لآخر النهار ، ثم يعودون ، وهذه فسحة أولاد الطبقة الأرسطقراطية ، هذا هو أمر شم النسيم بالاختصار .

حلوان الجميلة الوادعة :

صباح يوم ٢٥/٣/ تحركنا من الدار لميدان القلعة ومنه امتطينا التورني لميدان الأزهر ومنه عرجنا على باب اللوق حيث محطة سكة حديد حلوان فعرجنا على شباك التذاكر فدفعنا ٥٠ مليماً لكل منا ٢٥ مليما قيمة التذكرة ذهاباً وإياباً حيث كنا نقصد من هذه الرحلة زيارة صديق السودان والسودانيين عبد السلام أفندي مصطفى ، فانتظرنا قليلاً فإذا القطار الخاص بحلوان يؤوب وبعد خمس دقائق من وصوله تحرك بنا إلى حلوان في الساعة ١٠:٤٠ فمررنا على محطة السيدة زينب وهي محطة صغيرة ولكنها جميلة ، وبعد قليل دخلنا في مباني مصر القديمة وهي كأسمها قديمة - غير أن بها بعض المباني التي لا تقبل هذا الاسم لجمال فيها - وعبارة عن بنايات متداعية وخرائب وتلال وأوساخ ومحلات للفخار ، ثم مررنا على كنيسة (ماري جرجس) فوقف بها القطار لأنها محطة والكنيسة تقع على الشريط من ناحية الشرق، ثم مررنا على حقول واسعة مخضرة الجوانب وفي طريقنا رأينا الحصون الصغيرة التي

أقامها نابليون يوم هجومه على مصر وهي بنايات صغيرة مستديرة لا تسع لأكثر من عشرين جندياً تقريباً في حالة الوقوف ، ثم وقف القطار عند محطة معادي الخبيري ، وبهذه المحطة بنايات صغيرة محكمة الوضع يسكنها بعض العظماء تتخللها أشجار باسقة ، وأمام كل دار ورود ورياحين ، ولا شك أنها أجمل محطة بهذا الخط لوجود الفيلات الجميلة لأن كل فيلا تنفصل عن الأخرى تحدها الأشجار والزهور بدون حيطان ، وبهذا الشكل الجميل تمتاز هذه المباني على مثيلاتها بمصر لعدم وجود الحدائق بمصر إلا في دور العظماء ، وهذا ما أكسبها الكثير من الجمال. وبعد قليل من هذه المحطة سجن طرة العاتي العتيد الذي يؤدب الطغاة والمجرمين وله هيبة وله روعته حيث ترى جيش المساجين يغدو ويروح ومن حوله الجند يحملون بنادقهم ، وبعد أن تحرك القطار بيسير رأينا جيشاً من المساجين داخل سور من الأسلاك الشائكة وهم جالسون على الأرض كأنهم في صلاة والحراس عليهم بالمرصاد ولعلهم يتعرضون لحرارة الشمس إذ الوقت به بعض البرد وهم في أواخر موسم البرد ، وفي أثناء مرورنا نرى ثقوباً في الجبال ظاهرة قالوا هذه أبواب بيوت كان يسكنها القوم في العصر الحجري ثم مررنا على محطة (المعصرة) ولا شيء بها سوى بيوت مبعثرة هنا وهناك وبها معمل لصنع البلاط من الحجر وقبلها فابريكة الأسمنت التي تجلب إليها الأحجار الصالحة للعمل من الجبال بواسطة عربات تسير على أسلاك مرتفعة من الأرض تسير بواسطة الكهرباء ، فإنك تشاهد العربات الصغيرة معلقة في الأسلاك ومنها الرائح والغادي بشكل منظم ، وبعد ذلك لا شيء من العمار غير أرض واسعة لا نبات فيها ولا شجر سوى العمال الذين يسوون الأرض بإزالة المرتفعات.

وصلنا محطة حلوان وذلك في الساعة ١١:٢٠ وكانت السفرة ٢٥ كيلو قطعناها في ٤٠ دقيقة لسرعة القطار ، فلما خرجنا قابلنا العامل المختص باستلام ½ التذكرة وأعطانا النصف الآخر لنؤوب به. المحطة لا بأس بها ، ومن حولها أشجار وزهور وبها كثير من المقاعد لراحة المسافرين ، فلما نزلنا البلد سلكنا الشارع الموصل

للحمامات ، وما زلنا نطالع اللوحات للاهتداء على الشارع نمرة ٣٣ شارع عبد الرحمن باشا ، فما زلنا نجوب الشوارع الواسعة الجميلة حتى وصلنا الدار فإذا الصديق غائب عنها فتركنا له بطاقة ذكرنا فيها عنوان محلنا وقصدنا الحمامات المشهورة بمياهها المعدنية المفيدة لكثير من الأمراض وعلى الأخص (الروماتيزم) فإذا هي عبارة عن دار واسعة ذات غرف متعددة ولها مدخل واحد وهو محل العامل أو العاملة التي تأخذ الأجر من رواد الاستحمام وبداخل هذه البناية الجميلة النظيفة غرف الاستحمام على درجات متفاوتة من ١٠ قروش إلى ٤٥ قرشاً ، الفرق في أثاث الغرفة وجمالها ، أما الماء فهو واحد غير أن الـ ٤٥ قرشاً تدفع في محل التدليك الكهربائي وهو عبارة عن دولاب تسلط عليه الكهرباء بقدر معلوم فيأخذ الجالس به حرارة تجعله يتصبب عرقاً وقد يخرج منه إلى سرير التدليك وقد يكون المدلك غير رجل ، أما الغرفة الرخيصة فلا تدليك فيها ، ثم مررنا على حوض السباحة فإذا هو خالٍ من الماء والعمال يرممون فيه لاستقبال الموسم عند زوال البرد الذي ينتهي بآخر فبراير تقريبا ، ثم على البئر التي يخرج منها الماء المعدني الكبريتي ذو الرائحة الكريهة التي لا تطاق مبدئياً ، ولا تظن أن أحداً يستطيع الاستحمام بها إلا إذا كان مريضاً وسلطان المرض يملي إرادته على الملك والصعلوك ، ولابد من النزول على إرادته فيا رب سلم. ثم طفنا على الميادين الصغيرة المحاطة بالزهور والأشجار الصغيرة ذات المناظر المبهجة لأن موقع الحمامات يكون خارج البلد من ناحية الشمال وبالجملة فإن موقع الحمامات وتنسيقها يدعو إلى الإقامة بها لولا كراهة رائحة البئر وما حولها وهناك في ناحية الغرب الشمالي كشك من الخشب يبعد عن الحمامت قليلاً معد للاستحمام المجاني من نفس المياه لأنها متصلة بواسطة أنابيب (مواسير) فلما أعيانا التجول عدنا إلى المدينة لنرى شوارعها الواسعة

ودورها الجميلة إذ جلها من دور واحد ودورين حيث لا توجد المباني ذات الطبقات المتعددة ، وبالكثير من الدور الحدائق الجميلة ذات ازهور والورود والرياحين وبالجملة فإن وضعها وشوارعها ومبانيها يذكر بالخرطوم مع الفارق. أما الحركة والضوضاء فلا أثر لها هنا قط إنما هو سكون وهدوء كما في شوارع الخرطوم ، ثم هممنا بالرجوع وفي طريقنا جلسنا بمقهى تناولنا الشاي مع السميط وسألنا عن دار المرحوم الزبير باشا التي كان يسكن بها يوم كان منفياً بهذه المدينة ، فقيل لنا أنها في ملك حمد بيك سيف النصر كونه تملكها بحياة المرحوم بالبدل .

حلوان مرة ثانية :

في يوم ٢٨ ذهبنا لحلوان بدعوة من الصديق عبد السلام ، لقينا فيها صنوف الكرم فلبثنا يوماً بداره العامرة إلى العصر ، وقال: هيا بنا لنفرجكم على المدينة. فقلنا له: تفرجنا وخلصنا. فقال: وهل رأيتم المنتزه؟ قلنا: هنا منتزه؟ قال: نعم. هلموا وعلى الخبير سقطتم. فيمم بنا شرق البلد حيث يقع المنتزه العام فجزء منه على ربوة عالية ، أو هي قاعدة جبل تعلوه الخضرة والأشجار المنسقة تنسيقاً بديعاً محكماً وبه الزهور المختلفة الألوان ويروقك نوع منها لا ساق به لبداعة منظره وهو يكسو الأرض ، وفي قاعدة الجبل تمثال يقال إنه شبه تمثال آلهة اليابان ، وجميع مظللات المنتزه على طراز مظلات اليابان ، ويخترق المنتزه شارع يجعله منتزهين منفصلين ، أما الجنوبي فتعلوه مظلة واسعة وبداخلهاعدد ١٦ تمثالاً صغيراً من الحجر المطلي بالسواد مقامة على مصطبة عالية تحيطها أشجار صغيرة وخلف المظلة تمثال يرتفع عن أرض الجبل بنحو مترين ومن حوله تماثيل لثلاثة أفيال وعند المدخل تمثال قاعدته على صورة سلحفاة وبأعلاه صورة نوع من الحيوانات البرية يقال له (سندباد) ويضاء هذا المنتزه بفوانيس من نوع الفوانيس اليابانية ولها شكل جميل لغرابتها وتتخلل المنتزه شوارع مدكوكة تجعل السير سهلاً محبوباً ، وفي الجانب الشرقي الجنوبي ٤٨ تمثالاً يتوسطها تمثال يكبر عنها قليلاً يسمى رئيس الآلهة ، وهاتيك آلهة لا رئيس لها ،

وكلها تطل على بحيرة صناعية ، وهذه البحيرة تعطيك منظراً بهيجاً حيث تحفها الزهور الجميلة ذات الألوان المختلفة البديعة الشكل والوضع .

أما المنتزه الشمالي فهو على سطح الأرض لا على مرتفع كالجنوبي وبه مظلة على شكل خمس طبقات من طراز مظلات اليابان أيضاً ، مصنوعة من الأخشاب والحبال وتحتها المقاعد المتعددة وحولها شجر السرو، وبهذا المنتزه مسجد لتأدية الصلاة إذ أدركك الوقت وأنت في المنتزه. وفي الجانب الغربي مظلات صغيرة تسع الواحدة نحو العشرة أشخاص ، المقاعد على شكل مستدير تقع أمام بحيرة صناعية تحفها الزهور ومقام على البحيرة كبرى من الخشب للمرور من شرق البحيرة إلى غربها، وعند الشرق من الكبري تمثال كبير عليه شبه مظلة من الزهور الحمراء الجميلة وعلى الناحية الشمالية من البحيرة مركب من الأسمنت مملوء بالطين ومغروس فيه الأشجار الصغيرة ، فتعطيك منظراً فخماً. وبالجملة فالمنتزهات في غاية الأبهة والجمال ويرتادها كثير من سكان حلوان ويفد البعض من مصر وهي أجمل وأبهى من منتزه الحمامات بكثير والفرق بينهما كبير جداً.

وفي حلوان المرصد الفلكي العظيم الذي يعتمد عليه في جميع أعمال الفلك وهو الذي يدل على تحركات النجوم ومطالعها وأزمنتها ، ولكل فرد رؤية هذا المرصد بواسطة الآلة المعدة لذلك بعد الإعلان عن الزمان الذي يباح فيه حضور الجمهور من الهيئات صاحبة الشأن ، وإلى هنا آذنتنا الشمس بالمغيب فيممنا محطة السكة الحديد للعودة لمصر ، فتحرك القطار في الساعة ٦:٥ فوصل بنا محطة باب اللوق في الساعة ٦:٣٠ فوصلنا الدار بسلام ونحن أشد سروراً من هذه المشاهد .

حلوان مرة ثالثة :

تكاثرت على آلام التغيير وكثرت القروح فأشار بعضهم بحمامات حلوان حوض السباحة وهو عبارة عن ترعة واسعة يصل إليه الماء الكبريتي من البئر الذي ذكرتها سابقاً ، فلما وصلت دفعت ٢ قرش رسم الاستحمام فإذا بحجرة صغيرة متعددة

الأجزاء وكلها على شكل واحد ولكل باب فيمكنك إختيار ما تريد منها لتضع به ثيابك وتذهب إلى الترعة على شرط أن تكون بلباس البحر أو على الأقل شيء يستر العورة. ولك أن تجلس على هذا الماء ما تشاء من الزمن وعمقه في أكثر المحلات غوراً حوالي ١٢٠سم وهذا الحمام يؤمه الناس في الصيف كثيراً لفائدته ، أما الرائحة التي أشرت إليها سابقاً فإنك لا تشعر بها بمجرد النزول في الماء وما هو إلا ماء اعتيادي لولا شيء من الرائحة قليل لا يعبأ به. وهذا كل ما في حلوان ، فقد وصفته لك ولعل الله يعدك ويعدني بزيارتها مرة أخرى.

الأطباء والدكتور أحمد ضيف :

يكثر الأطباء بمصر كثرة تلفت النظر فلا تمر بشارع أو عمارة إلا وتجد اللوحات معلقة ، الدكتور فلان اختصاصي في كذا وكذا ، وقد تجد في العمارة الواحدة نحو الست والسبع لوحات ، ولما كنت أفقد حاسة سمع إحدى الأذنين سألت الحاج البرير عن الطبيب الماهر فدلني على الدكتور أحمد ضيف ، ومن فوره أركبني عربته الخاصة ، وقال لسائقها إلى باب اللوق ، فبعد قليل وصلنا ميدان الأزهر فعيادة الدكتور ضيف التي تقع في شارع الفلكي ، فلما وصلنا إليه في الدور الثاني قابلنا بالترحاب ، فقال هل من شيء قلنا نعم أفقد السمع في أذني الشمال فدنا مني ونظر إلى الأذن ثم الأنف فالحلق وقال لحمية في الأنف عطلت السمع تحتاج لعلاج بالكهرباء سبعة أيام ، وكل ذلك في دقيقة واحدة فقلنا لا بأس وهنا تفاهم معه البرير بالإنجليزية عن الأجر فقال: هل يستطيع دفع ٤ جنيهات؟ فرد عليه البرير: ولتكن ثلاثة. فأجاب لا بأس. ومن فوره وضع دواء وقال انتظروا عشر من الدقائق ، وبعدها طلبنا بواسطة التمرجي فاجلسني على كرسي خاص ثم تناول آلة محماة بالكهرباة ووضعها بالأنف فإذا هي تحرق اللحم حرقاً ، وبعد دقيقة قال: (خلاص باكر) وهكذا ما زلت أتردد عليه يوماً بعد يوم حتى كانت الأيام فوق الثلاثين ، وسئمت التردد وانقضت الأيام التي قطعها للعلاج وليتني وجدت فائدة حيث كل هذه المدة لم أشعر قط بتحسنٌ إلا انقطاع الزكام المستمر ، ولما يئست ودنا يوم سفري للقدس قابلته يوماً بحدة وقلت له : (لا

شك يا دكتور في مقدرتك حيث شهد لك الجمهور المصري بالبراعة في فنك ولكن هذا لا يجعلك تغالب القدر وتقف أمام أحكامه ، وبهذا أريد منك أن تقول كلمتك الصريحة هل هناك فائدة؟ لأني تعبت من الترداد عليك وعزمت على السفر لبلادي بعد القدس.) فقال لي: "لابد من الفائدة ولكنها بعد شهرين تقريباً ، وسأعطيك دواء تستعمله." فأخذت منه الروشتة وذهبت لحالي معللاً النفس بالشفاء ، ولسوء الحظ مر الشهران وغيرهما شهران ولا جديد في الأذن .

هذا حال الطبيب المختص في عمله وما رأيك في غيره جماعة زعيط ومعيط هؤلاء لهم شأن وأي شأن حيث الحوادث الكثيرة والأماني المعسولة التي تكال للمريض مع ابتزاز المال من ذوي الشأن ، والحق أنهم يأخذون الأجر الكبير مستعينين بالمظاهر العظيمة حيث الدار الفخمة والأثاث الفاخر والرياش الثمين . وهذا ما يبهر المريض ويجعله يتساهل في الدفع ، وهناك جماعة سئموا هذا النهب والسلب فهم يضنون بمالهم حتى على الشفاء ، وهم الطبقة التي علمتها الأيام ، أما الوجهاء فإنهم لا يركبون هذا المركب قط وللمريض السوداني أن يشترط الصحة ولا يدفع ماله إلا بعد الشفاء التام ، ويمكنه أن يدفع جزءاً والجزء الآخر يؤجل أما أنا وصاحبي فكنا من الوجهاء حيث دفعنا الأجر مقدماً والعوض على الله ، واكتفيت بهذا القدر عن الطب والأطباء .

في غرفة استراحة المرضى بعيادات الدكتور ضيف :

مهما حضرت مبكراً إلى العيادة التي تفتح من ١١ إلى ١ و من ٦ إلى ٧ تجد من يتقدمك من المرضى ، وهناك غرفة واسعة يجتمع فيها رواد الدكتور وهي ذات مقاعد وثيرة ونوافذ متعددة فيجلس كل منهم يناجي مرضه متى الشفاء وهل هناك فائدة من التردد الممل وهو بين اليأس والرجاء ، فإذا جلس بجواره أحد اجتهد أن يحييه ويجر معه (عشرة كلام) وكل ما يحضره من الأسئلة يدور حول المرض فيخاطب جاره: تشكو من أيه؟ فيجيبه: من أذني. فيجيبه الآخر: وأنا أيضاً. وكم لك من الزمن؟ مدة طويلة. وهل من فائدة؟ شوية ، ارتحت. وكل الناس يقولون الدكتور شاطر. ثم يصمتان

فإذا التمرجي يختار من بينهم واحداً تفضل ، فيقوم مسرعاً ويقول للثاني تفضل فيقوم بعده فعند وصوله الباب يجد الأول قد خرج وأعلم أن مدة الدواء دقيقة واحدة مهما كان إلا إذا كان هناك بتر أو قطع ، وهكذا الواحد تلو الآخر حتى ينصرف الزبائن.

ويضحكني كثيراً شاب فلاح جلس بجواري وكان معه والده المتقدم في السن يشكو من أنفه ، فأردت بدوري أن استعمل الكلمات إياها تشكو من إيه؟ قال: لا أشكو من شيء غير أن والدي مريض بأنفه ، فقلت له: أنا مريض بأذني. فقال: هذا الدكتور جاءه واحد من بلدياتنا (أصنج) لم يستطع علاجه لأن (صنجه أديم"قديم") فقلت له لا يا سيدي أنا صنجي جديد بعد أن ضحكت كثيراً على كلمة (صنج) وبالجملة ففي العيادات النادر الغريب وأكثر المرض في مصر العيون والسنون .

نظرة عامة :

مصر لا شك أنها كما يقال أم الدنيا ومصر أم العجائب ومصر ملتقى الأجناس ومجمع الأديان ، فما من شيء إلا وفيها منه النصيب الأوفر ، وبحق نسميها زعيمة الشرق ومحط آمال الشرقيين وقبلة المصلحين والمفكرين منهم. تجد بها اللهو واللعب والمجون كما تجد الجد والنشاط والتقوى والصلاح ، فكل يجد من على شاكلته وكل يشرب من ورده ، تجد دور اللهو كما تجد المقاهي المتعددة التي لا تجد بها كرسياً خالياً فكأن الناس أقسموا ألا يقيموا بدورهم، وقد تجد النساء في بعضها كما تجد المطاعم في كل شارع وفي كل زقاق وفي كل عطفة فكأنهم لا يأكلون إلا الناضج الجاهز .

كما تجد الجوامع غاصة بالمصليين والذاكرين الله والطالبين للعلم ، فسبحان من جعل كل شيء فيها .

تلاحظ كل من المارة يسرع في سيره كأنه يلحق شيئاً هارباً منه ، ومع هذا حركة المرور على ما يرام ، تقل الحوادث مع كثرة السيارات والعربات (والمواتر) و(الدراجة) والمشاة ومنظم الحركة ماهر نشيط.

يتفانى بعضهم في المظهر والأناقة كأنه ذاهب إلى حفلة زفاف عرسه ، كما تجدها هي الأخرى بدورها فرحة طروب في تبرج واستهتار ودلال كأنها قادمة على حفلة راقصة وتطرب ويطرب ويبدو عليها سيما العظمة والكمال إذا كانت بجانبه وكان بجانبها. فهذا ما يهم بعض الشباب كل الهم إذ هناك ما اسمه الغرام والهيام.

والعشق والوله إذ المحبة أساس الزواج عندهم لا الزواج أساس المحبة كما يقول الدين ورجال الدين. لذلك منهم من يبحث عن العشق والإخلاص وكل يطلب ليلاه وقد بعد المزار وعزَّ المطلوب وكثر الغش والتدليس باسم هذا العشق البغيض وذبحت الاعراض وهتكت الاستار في سبيل الوصول إليه والتمتع بمرآه الجميل. هذا ما يغمر بعض نواحي مصر وهذا هو الكابوس الذي سلب المال وجلب الخراب والدمار فلا مسلمة تعف عن مسيحي ولا مسيحية تعف عن مسلم ما دام هناك اغراء وغش وتدليس.

المدارس في كل حارة وزقاق والحكومة تشجع التعليم وتعد العدة للتعليم الإجباري. تبذل الحكومة مجهوداً في تنظيم البلد وفتح الطرق الواسعة وتبذل الكثير من المال تساعد وتشجع العاملين وتفتح المجال للجمعيات العاملة للإصلاح والترقي وتساعد الفلاح وتصرف الغالي والنفيس في سبيله. تشجع المشاريع الزراعية والجمعيات الزراعية ولا تخلو بلد من الآلات الرافعة والتفاتيش الأهلية.

يمجد الأهالي الملك والنحاس كثيراً ويفرحون لرؤيتهما. يهللون ويكبرون عند رؤية النحاس ويعلقون عليه آمالاً كباراً وهو الكل في الكل.

تتقدم الصناعة بخطوات واسعة فما من شيء إلا وله مصنع أو مصانع وينهض النسيج إلى حد بعيد يبشر بالنجاح.

نظام دواوين الحكومة به كثير من التسويف الذي يكره الأمة في الدعاوي. في كل شارع وفي كل حتة تجد البوليس وهو مستعد لإرشادك لما تريد في غاية اللطف والرقة مع الغريب على الخصوص ولكنه قاسي على الباعة وأرباب السوابق.

الجمعيات تؤدي واجبها بجدٍ ونشاط. جمعية الأخوان المسلمين وجمعية الشبان المسلمين وغيرهما.

الأزاهرة خشنون مفترون إلى حدٍ بعيد لرضاهم عن الشيخ الأكبر الذي أرضاه عنهم فغفل عن الكثير من نقصائهم وتحديهم لكل من ينطق باسم العلم وهم أكثرية في مصر بالنسبة لجميع المعاهد الأخرى والحكومة تحسب لهم ألف حساب وحساب.

المصريون معجبون بأنفسهم وببلادهم ويصعب على الغريب معرفة الأجنبي من المصري إذ كلهم بالطربوش ويتكلمون المصرية النظيفة تتساوى المتاجر بين المصريين والأجانب من حيث النظام والأبهة والرقة واللطف. يقابلك المصري في كل حتة بثغر باسم ويحييك بلطف ويدعوك للجلوس وشرب الشاي. وفي جميع المحلات التجارية يُقدم الشاي على غيره من المشروبات الأخرى. وتتضاعف العناية إذا كنت زبوناً في المتجر أو العيادة أو المصنع.

تختلف درجة المطاعم والمقاهي باختلاف النظافة وجمال المقاعد والدار ففي كل محل الأكل المتوسط لا يتجاوز الـ ٣ قروش ومثله في محل آخر فرنساوي ٦ قروش وفي مثله يساوي ١٢ قرشاً وهلم جرا. وكذا المقاهي كوب الشاي ٥ مليم وفي بعضها ٥٠ – ١٠٠ مليم. أما تلك التي تقدم فيها الطلب الأوانس أو حمام البحر الأبيض المتوسط فلا أحدثك عنها لأني والحمد لله لست من روادها ولا أريد أن أقول ما سمعته.

المواصلات سهلة ورخيصة. المنازل والشقق تكثر جداً وأجرها زهيد إذا كان هناك خادماً فهي أريح في بعض النواحي من اللكوندات وبعدم الخادم الأمين أفضل اللكوندات وأضمن.

الشيء المرغوب فيه ويجلب الربح هو المأكولات من حيث هي، يكثر الباعة الذين يحملون أمتعتهم على عربات اليد ولا يوجد حمّال يحمل على ظهره إلا نادراً ولكنهم يحملون على عربات يد. وإن من شيء إلا وهو في أيدي الباعة المتجولين: الخضروات، الألبان.. إلخ.. إلخ.. وكثيراً ما تزعج صيحاتهم المتوالية.

"الراديو" على المقاهي وحوانيت الحلاقين وقد إنقرض الحاكي وبارت اسطواناته. ولك أن تجلس بأي مقهى لتسمع الإذاعة والأخبار المهمة والتلاوة والأغاني والمحاضرات. وللمفلس أن يقف بأي ميدان من الميادين العامة ويسمع ما يريد غير أن البوليس لا يرغب التجمهر فيعكر صفو السامعين بالمجاني حيث يشتت شملهم ويفرق جمعهم.

تجد الصعاليك كما تجد العظماء وتجد الغلابة كما تجد الأثرياء وتجد المنازل الشاهقة كما تجد الحقيرة. كما نجد بعض الفقيرات اللواتي يسكن في الأزقة يجلسن على قارعة الطريق لاستنشاق الهواء.

إنقرض جيش الشحاتين لوجود نظام مطاعم الشعب فإنك لا تجد سائلاً قط إلا بالوسائل التي تدنو من الشحتة، وقد ذكرت بعضها سابقاً كقطع الشكولاته وأوراق اليانصيب وبيع الزهور وهلم جرا.

لباس الرأس عند طبقة الأفندية والخواجات والتجار الذين يرتدون البدلة هو الطربوش، ثم جماعة الأزهر وما شاكلهم ويرتدون الجبة والقطفان، فغطاء الرأس هو الطربوش المغربي أما الأهالي فالطاقية اللبدة وبعضهم يجعل عليها عمة صغيرة، وأكثر الباعة حفاة الأرجل وأحذية الجميع الجزم الجلد شغل مصر حيث تكثر مصانع الأحذية بمصر وهي جميلة ورخيصة بقدر غلاء الأحذية اليابانية حيث يضيقون عليها عن طريق الجمرك.

الأخلاق والعادات كما هي في السودان سوى فرق بسيط في الحجاب والسفور وارتياد المقاهي والأكل على الطرقات وفي كل حتة وأشياء أخرى غير هذه. المعيشة على العموم تتناسب مع معيشة السودان يمكن للإنسان أن يعيش في اليوم على قرش واحد، ويرتفع هذا القرش إلى جنيه حسب ما يريد الإنسان.

تطيب الإقامة بمصر إذا كان لك رفيق من السودان أو صديق يسكن مصر، وهذا يندر وجوده، تحلو الإقامة لمن يميل إلى العربدة، وبيده المال الكافي وتكون سجناً لمن لا يميل إلى الهوى وعلى الخصوص إذا لم يجد الرفيق، ويسر الإنسان

كثيراً إذا نظم أوقاته لزيارات محلات خاصة ، هـذا الـذي لا يميل إلى الملاهـي يمكـن يتصل بأناس مخصوصين يتفق معهم على الزمـان والمكـان وإلا ذهـب مجهوده سـدى ، حيث لا يجد من يرد ويكون أكثر سروراً إذا زار دور العلم والصحف والأندية والهيئات العامة زيارة للإطلاع والوقوف على الحقائق ، ويكون مسروراً أيضاً إذا تتبع الصحف وعلم مواعيد المحاضرات العلمية ، وبالجملة فإن في مصر الشيء الكثير بعضـه وقفنا عليه وبضعه لم نستطع الوقوف عليه ، ولعلنا نعود مرة أخرى ونفي الموضوع حقه من البحث والاستقصاء . حقق الله الأمل.

رحلة القدس الشريف

بعد عودتي من حج بيت الله الحرام وزيارة مسجده عليه الصلاة والسلام الذي عظم وشرف به وذلك عام ١٣٤٩هـ تكونت عندى رغبة ملحة وشوق عظيم لزيارة بيت المقدس ثالث الحرمين لما له من الحرمة التي سأذكرها بعد لأن حكم زيارته الندب ولكنه مندوب مرغوب فيه لما يجنيه الزائر من الفوائد الدينية والاجتماعية والادبية ، وكثيراً ما كنت أتألم لضياع الوقت ومر السنين دون تحقيق أمنيتي ولا شك أن الأعمال مرهونة بأوقاتها ، وقد شاء الله أن يحرك قدمي لهذه الزيارة في يوم السبت ١٤ م فبراير ١٩٣٦م ، فركبت القطار من الخرطوم الساعة الثامنة صباحاً وجهتي حلفا فالشلال فمصر التي ستكون مبدأ الرحلة ولفائدة إخواني السودانيين خصوصاً أدون هذه الرحلة بقصد التشويق لثالث الحرمين الشريفين ومآثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، مبيناً ما يجهله بعض الناس من أمن الطريق وسهولة السير وقلة النفقة لعليّ أؤدي بذلك واجباً عليّ (ولعليّ أحوذ ثواب الدال على الخير) مع أن بضاعتي مزجاة ، وللتأليف والتدوين والرحلات قوم درسوا الشيء الكثير من العلوم التي تؤهل لذلك ، وأني لتاجر أن يحسن القول ويصف مشاهداته ويعبر عما في ضميره كما ينبغي ويحب فقد إجتهد ولكنى أقول: (شيء في الجملة خير من لا شيء) .

من مصر للقدس :

في الساعة ٥:٣٠ مساء يوم ١٤ إبريل ١٩٣٦م تحرك بنا القطار من مصر وجهتنا القنطرة وذلك بعد أن دفعت مبلغ ١١٢و ½ قرش قيمة التذكرة من مصر للقدس ، وكان يرافقني الأخ الشيخ أبوزيد حسن هلال التاجر بمصر ، وما زال القطار ينهب الأرض نهباً ويمر على الحقول والمزارع الواسعة ونحن ساكنون مرتاحون كل الراحة لسعة العربات ولعدم الزحام ، غير أن بعض الباعة يعكر علينا بصيحاته المزعجة ، وعلى رأس الساعة التاسعة وصلنا محطة القنطرة فنزلنا من القطار بسلام

ويممنا البحر لنعبره على الكراكة التي هي أشبه (بالرمس) (الطوق) وقد غصّت بالركاب على ضيقها ، وكل يحمل أمتعته وجلهم وقوفاً حيث لا مقاعد والبحر هنا ضيق لأنه جزء من القنال وبحمد الله لم تكن معنا أمتعة تعوقنا من الإسراع فعبرنا في الدور الأول .

وهناك وقفة مملة متعبة عند شباك الجوازات حيث عند خروجنا من الكراكة ندخل من باب مخصوص لا نتعداه ومنه نصل إلى شباك الجوازات ، وكل يدفع صاحبه دفعاً عله يكون الأول ، وهناك باب آخر ففي الباب الأول النظر لجواز السفر أما الباب الثاني فالسؤال والجواب لأن العامل يملأ أوراقاً بأسئلة يلقيها على المسافر وهي :

س : إلى أين تريد الذهاب ؟ ج : القدس.

س : ماذا تصنع بها؟ ج : للزيارة.

س : كم يوماً تريد الإقامة؟ ج: كذا يوم.

س : تعرف مين هناك؟ ، ج : أعرف فلان.

وبحمد الله كنا نعرف بعض الأسماء التي اقتنع بها العامل ودونها في أوراقه وتكرم بإعادة الجواز ، أما إذا لم يذكر المسافر السبب واسم شخص بالبلد التي يريد الذهاب إليها ربما تأخر كثيراً ، أقله بعد انصراف جميع المسافرين ، ثم يعاد السؤال والجواب مرة أخرى ، وأخيراً يؤذن له بالسفر ما دام يحمل جوازاً قانونياً ، والسر في هذه الأسئلة معرفة محل إقامة المسافر حتى إذا جاء خبر بخصوصه أو تأخر عن الأوبة اهتدوا إليه بواسطة الشخص المذكور لأن للإقامة بالبلد مدة كما يفهم من السؤال الأخير ، وفي هذا المأزق تعرفنا بالشيخ محمود الليثي المصري من أهالي كفر الشيخ سليم طنطا ، وكانت تحرجه الأسئلة ولا يعرف لها جواباً ولحسن الحظ كان برفقتنا شاب سوري فانتبذ بالشيخ مكاناً قريباً وقال له قل فلان وفلان (وهم عارفين حاجة يا عم) فكانت إلهاماً جعل الشيخ الفلاح يتهلل بشراً ثم عاد إلى الشباك وقال الكلمات التي لقنها لأنه كان في الانتظار ، ولما قبلت منه الكلمات سلم الجواز ومن

فوره لحق بنا وقال: على فين يا أولادي؟ فقلنا: للقدس الشريف. فقال: (والنبي أنا وياكو ، أهو كلنا على الأدس ، مانيش سايبكم.) ، وهنا علمنا أن الشيخ رجل مؤمن إيمان العجائز وهو ذو أخلاق فاضلة واستسلام بليغ فاندمج فينا كأننا نعرفه من أمد بعيد وكان مألوفاً ومحبوباً عندنا ، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال ما معناه (خيركم من يألف الناس ويؤلف) ولا شك أن الرجل من خيار الناس الأميين ، ومن هنا كنا ثلاثة في هذه الرحلة ويحق لي أن أتكلم بضيمر الجماعة في جميع أدوار الرحلة.

ولما خرجنا من هذا المأزق وقطعنا البحر الذي وصفته من قبل وكنا بالجانب الغربي فإذا القطار معد في انتظارنا ، ومن فورنا إلى العربات استلمنا محلاتنا وفي الساعة العاشرة تحرك القطار وجهته محطة (اللّد) فما زال يقطع الفيافي والقفار ونحن مرة نتسامر ومرة يداعبنا النوم ومرة نتألم من طول السفر وعدم الاستعداد له لأننا لم نأخذ من الفراش شيئاً يقينا البرد تهاوناً منا وخوفاً من متاعب الحمل الثقيل ، فما زلنا في هذه الحال حتى أصبح الله بالصباح وإذا الساعة ٦:٥٠ ونحن بمحطة اللّد.

محطة اللّد ملتقى القطارات أشبه بمحطة عطبرة بالسودان ، تتفرع منها ثلاثة قطارات ، قطار (حيفا) قطار (يافا) قطار (القدس) وهنا حتم على الركاب النزول ليأخذ كل قطاره الذي يوصله إلى بلده ، والمحطة بسيطة في مبانيها واستعداداتها وبها نفق يمر به الركاب إلى موقف القطارات ، إذ السير متعذر من خارج الأرض لكثرة القضبان والحركة ، وبعد نصف ساعة من وصولنا تحرك بنا قطار القدس وهو أشبه من كل الوجوه بقطارات مصر ولا فرق بينهما ، وبعد قليل وعند امتداد نور الشمس فإذا نحن بحقول البرتقال الواسعة المنسقة تنسيقاً بديعاً يجلب السرور والانشراح حيث ترى الأشجار مصطفة على نظام واحد في الارتفاع وفي القطر ، وهي بلا شك أبهج وأروع منظر وأنك تشاهد المباني المنتشرة وسط المزارع وهذه المزارع تختص بالبرتقال تسقى بآلات رافعة ذات مواسير مستوية لا تلال ولا جبال ، فما زلنا

نشاهد هذه المناظر مع مناظر أشجار التوت والخروب والزيتون وحقول القمح الواسعة إلى أن وصلنا محطة (دير الشيخ) ومن هنا تغيرت مناظر البلاد فلا ترى إلا جبالاً شاهقة مغطاة بالأشجار والحشائش وعلى سفحها مزارع القمح وإذ بالطريق يتغير كل التغيير التواء وتعاريج والقطار ينساب كالحية آونة يميناً وأخرى شمالاً ومرة يبطئ وأخرى يسرع ونحن لا نعلم كيف الخلاص من سور الجبال القائم أمام القطار ، فإذا هو يخرج من هذا السور إلى غيره ، وهكذا دواليك وما زالت الخضرة الناضرة والزهور الباسمة تغطي جميع السهل والجبال والوديان التي تتخلل الجبال يزرع بها العنب بكثرة وله منظره وله جماله فسبحان الخلاق العليم ، ولعامة أهالي السودان الحق في قولهم (يا من خلقت الشام اجعل كل بلد عند أهلها شام) وبدأنا نشعر بتغيير الطقس عما كان عليه عندما كنا بمصر ونواحيها ، هنا رطوبة محبوبة تنعش النفس وتحرك الشعور حين تشاهد السحب تغطي نور الشمس بل تداعبها مداعبة لطيفة تجعل المنظر بهيجاً ، فما زلنا نقطع الوديان التي تحوطها الجبال في غبطة وسرور حتى شارفنا القدس الشريف وبدت لنا أعلامه وقبابه فتأهبنا للنزول ، كل يجمع ما معه من الأمتعة حتى إذا وقف القطار بالمحطة تسللنا واحداً إثر واحد ، وكانت الساعة ٩:٣٠ صباحاً فلما خرجنا من سور المحطة صار كل منا ينظر إلى صاحبه وكلنا نطالع وجوه القوم ونستوقف بعضهم ونبادره بالسؤال: أين الطريق إلى لكوندة (الماجستيك)؟ وكيف الوصول إليها؟ وهل هي بعيدة ؟ فلما أخذنا المعلومات من بعضهم وعلمنا منهم أن اللوكندة المقصودة تقع عند باب الخليل وأنه قريب منا ولنا أن نركب (التورني كروفت) أو (الباص) كما يسميه أهل القدس مقابل خمس مليمات للراكب ، ولولا السؤال لاضطررنا إلى ركوب التكس وناهيك باستهبال الشوفير الذي طلب منا عشرة من القروش بدل ١٥ مليماً ، ومن فورنا يممنا موقف (الباص) الذي أوصلنا باب الخليل ومنه اهتدينا إلى اللوكندة المذكورة ، فلما دخلنا وكانت من طابقين ، قابلنا صاحبها بالترحاب أهلاً وسهلاً وشرفتم ، ثم تفاهمنا على أجرة السرير في الليلة فكان الحد الأدنى ١٠ قروش ولما كانت اللوكندة نظيفة وتطل على الشارع العمومي قبلنا

بالأجرة واخترنا إحدى الغرف ذات الثلاث أسرة فارتحنا بها قليلاً ، أما وقد وصلت بك إلى القدس فلنتكلم عن بيت المقدس وعن فضائله وعن ما امتاز به على سائر البلدان وعن ما ورد في فضله وذكره في القرآن الكريم ، وعلى ما ورد فيه من أحاديث الرسول الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وعلى حدوده ثم نعود لسرد الرحلة.

المسجد الأقصى وما ورد فيه من الآيات القرآنية :

المسجد الأقصى هو ثالث الحرمين وقبلة المسلمين الأولى، وقد ورد في فضله آي الذكر الحكيم وكثير من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وزيارته من أعظم القربات لما اشتمل عليه القدس عموماً وبيت المقدس خصوصاص من الفضائل التي لا توجد في غيره.

: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير". آية (١) سورة الأسراء. أما ما جاء في الكتاب فقوله تعالى فهو مبارك ومهبط البركات والرحمات.

- "وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين". آية (٥٠) سورة المؤمنون.
- "وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين". آية ١٤٢ سورة الأعراف.
- وقوله: "وإذ قلنا أدخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً". آية ٥٨ سورة البقرة.
- "ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين". آية ٧١ سورة الأنبياء.
- "يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المنى والسلوى" آية ٨٠ سورة طه.
- "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون". آية ١٠٥ سورة الأنبياء.
- "واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب". آية ٤١ سورة ق.

قيل المكان هو صخرة بيت المقدس حيث قيل إنه أقرب موضع إلى السماء والمنادي إسرافيل.

أما الأحاديث فكثيرة فلتأتي بما سهل منها وقرب معناه.

- قال صلى الله عليه وسلم: (إن سليمان عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثاً: حكماً يوافق حكمة، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأيما عبد أتى هذا المسجد فصلى ركعتين ودعا الله إلا استجيب له.) فأعطاه الله الأولى والثانية وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة.
- "ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى".
- "الصلاة في المسجد الحرام بخمسين ألف صلاة والصلاة في مسجدي هذا بأربعين ألف صلاة والصلاة في المسجد الأقصى بثلاثين ألف صلاة".
- وقوله: "من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس". وهذا قليل من كثير نورده على سبيل الترغيب.

فضائل بيت المقدس:

روى البيضاوي عن مقاتل رحمهما الله أنه قال: "تاب الله على داود وسليمان ببيت المقدس. وبشر زكريا بيحيى ببيت المقدس وسخر الله الجبال والطير لسليمان ببيت المقدس وتسورت الملائكة على داوود المحراب ببيت المقدس. وكان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقربون القربان ببيت المقدس وأوتيت مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ببيت المقدس. وتكلم عيسى عليه السلام في المهد ببيت المقدس وصلى محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ببيت المقدس. وعرج إلى السماء من بيت المقدس. وأوصى آدم عليه السلام حيث مات بأرض الهند أن يدفن ببيت المقدس وهاجر إبراهيم عليه السلام من كوثا هبة إلى بيت المقدس ورفع التابوت والسكينة في أرض المقدس وفهم الله تعالى سليمان عليه السلام ببيت المقدس.

شهرة بيت المقدس:

ولبيت المقدس شهرة طبقت الآفاق فما من مسلم أو مسيحي إلا ويعلم الشيء الكثير عن بيت المقدس وقداسته وامتيازه على كثير من البلدان ولا غرو فهو عيش الأنبياء والأولياء والصالحين ومنه ظهرت شمس الديانات الإلاهية وتكرر نزول الوحي على الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. لذا نجد الكثير من المسيحيين يحجون إليه كل عام عند حلول شهر أبريل ويتزايد عددهم وتغص بهم البلد إلى اليوم الثاني عشر منه وهو اليوم الأخير. ولأهل القدس اعتناء شديد بهذا الشهر إذ هو بمثابة الحج بمكة فهو موسم للربح حيث تقام الأسواق في جميع المزارات كالخليل عليه السلام وعند سيدنا موسى عليه السلام وعند سيدنا صالح عليه السلام حتى إذا انقضى اليوم الأخير تفرق الجمع وعاد كلٌ إلى وطنه.

وفي هذا الموسم نجد جميع الأجناس من سكان المعمورة والكل يهتم بالآثار والمزارات اهتماماً عظيماً ولسوء الحظ كان وصولنا بيت المقدس بعد الفراغ من هذا الاحتفال السنوي بيومين فقط.

وفي بيت المقدس كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنذكر بعضهم عند ذكر المزارات.

ولعمري إن انفاق الكنوز العظيمة وتجشم المشاق من البلدان البعيدة في سبيل زيارة هذا المسجد ومشاهدة الآثار العظيمة والوقوف على قبور الأنبياء والمرسلين قليل في جانب ما يحصل للإنسان من البركة والثواب ومغفرة الذنوب من علام الغيوب لمن كان عمله خالصاً لوجه الله وحظي بالقبول علاوة على الوقوف على حالة المسلمين ومعرفة بعض الشيء عن أحوالهم من خير وشر وتقدم وتأخر وتمسك بأصول الدين واعتزاز به وتهاون وجهل وفي ذلك ما فيه من الصلات الأدبية والروحية.

من النزل إلى المسجد :

بعد أن ارتحنا بعض الشيء نزلنا إلى السوق لنتناول الطعام حيث كان الوقت حوالي الساعة الحادية عشرة فجلسنا بمطعم الاقتصاد الذي يقع عند باب الخليل ثم يممنا المسجد ، وكان مدخلنا من طريق الباب القلعة ، فإذا بنا نمشي كمن يدخل سرداباً يتدلى إليه على درجات ، كل تنخفض عن الأخرى قليلاً ، والأرض مرصوفة بالحجر والشوارع أزقة ضيقة والمتاجر من حولها ، وكل الأزقة مظللة لا شمس فيها والحوانيت صغيرة أكثرها ٣ أمتار/٣ أمتار تقريباً ، وما زلنا نمشي في هذه المضايق الغاصة بالمارة على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولا دليل لنا غير السؤال ، إلى أن وصلنا المسجد ، قصدنا مسجد الجمعة أى نفس المسجد الأقصى . فلما أدينا تحية المسجد أردنا أن نطوف بنواحي المسجد ولكن رأينا الأفضل أن نؤدي صلاة الظهر ثم نطوف .

المسجد الأقصى الحقيقي بناه سيدنا سليمان عليه السلام والمسجد الحقيقي يقع داخل الأرض الآن ، وهذا الذي تقام فيه الجمعة يقع في أعلاه أشبه بدور ثانٍ وهو بناء الخليفة عبد الملك بن مروان ، أما الذي بداخل الأرض الآن فإني أصفه لك على غير رؤية نقلاً عن كتاب (مرشد الزائرين) وهو بناء سيدنا سليمان عليه السلام ، ويسمى بالمسجد الأقصى القديم ، وهو كبير معقود بالحجارة وبه سواري حاملة للسقف ، وإن إتقان بنائه وإحكامه يدل على ذلك ، وفي داخله على يمين الداخل محل القبلتين ، وفي صدر هذا المسجد محراب منسوب إلى سيدنا سليمان عليه السلام ، يصلى الزائر ركعتين فيه وعن يساره محل يسمى (خلوة سليمان) فينبغى الجلوس فيه ، ويستغفر الله مائة مرة ، ويقرأ الإخلاص إحدى عشرة مرة والفاتحة مرة واحدة . وعن يمين المحراب المتقدم ذكره محل مرتفع عن الأرض بمقدار ذراعين يقال فيه قبور أولاد سيدنا هارون فينبغي قراءة سورة الضحى والإخلاص والفاتحة ، ويهدي ثوابها لهذه التربة .

وبجانبها من جهة الشمال على رأس السلم الموصول لهذا المحل المتقدم بيانه باب سرداب متصل إلى قبر سيدنا داود عليه السلام ، فينبغي أن يصلي ركعتين ويتوب

إلى الله ويدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة ، فإن الدعاء مستجاب إن شاء الله . وينبغي للزائر أن يقف عند الباب ويستقبل القبلة ويودع الشهادة في هذا المحل، وهي: " اللهم إني أودعت في هذا المحل الشريف شهادة أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله شهادة أمانة ذخيرة تكون لي عندك من يومنا هذا إلى يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم" .

نورد هذه الأدعية على سبيل النموذج للأدعية ، وسنورد غيرها . وهذه الأدعية يلقنها المزور للزائر ، قلت لم نشاهد هذا المسجد لسبب أنه مقفول ولا يصرح بدخوله إلا بأمر من رئاسة المسجد ، ولما كان وقتنا ضيقاً فلم نجد المجال لمقابلة من بيده الأمر ، وقد علمنا من مزورنا أن لا شيء يستحق ذلك ، فقبلنا نصحه وعدلنا عن الاهتمام بالزيارة ورأينا أن نكتفي بالمعلومات المتقدمة .

المسجد الأقصى الثاني :

سمي بالمسجد الأقصى لسعته وكبره ولأن الجمعة تقام فيه مع تعدد المساجد، في كل مقام من مقامات الأنبياء مسجد ، وسنذكر ما وقفنا عليه منها وهو بناء الخليفة عبد الملك بن مروان كما تقدم ، وأن جميع سكان القدس يصلون الجمعة فيه بإمام واحد وإن هذا المسجد واسع جداً ، وقد قال مزورنا إن مساحة السور الذي يضم المسجد ومسجد الصخرة وكل المباني الملحقة بهذا المسجد هي ٤ كيلو مترات مربعة، والحق أنه واسع وسعاً يلفت النظر ، وهذا المسجد تحيطه المباني والمتاجر من جميع نواحيه وله عدة أبواب ، أي السور العمومي ، كما أن المدينة يحوطها سور كبير وقد تهدمت بعض نواحيه وللسور العمومي عدة أبواب ، ولكلٍ إسم . فمن الجهة الغربية سبعة أبواب ومن الجهة القبلية بابان، الأول يسمى باب داوود والثاني يسمى باب المغاربة، وبالجهة الشمالية ثلاثة أبواب، الأول يسمى باب الزاهرة والثاني باب النظر والثالث باب الجديد .

في المسجد :

بعد أن أدينا تحية المسجد فإذا بالناس يقفون لصلاة الظهر ، فوقفنا معهم فإذا بشيخ جلله الوقار يتقدم الصفوف ثم يأمر بتسويتها بعناية تامة ثم يقول:" أقيموا الصف فإن إقامة الصفوف من إقامة الصلاة" ، ثم تفقدها مرة أخرى وكبر فكبرنا معه فأتممنا صلاتنا ، وبعد الباقيات الصالحات هممنا بالطواف على جميع نواحي المسجد ، فإذا بشيخ يقابلنا بالابتسام والترحاب ثم يأخذنا أخذاً لطيفاً حتى يجلسنا أمام شيخ فانٍ ، ثم قال هذا شيخ المزورين وسيزوركم فإذا عندكم هدية قدموها له ، قلنا له لا بأس وسنعمل اللازم مع علمك هناك إعلان على كل باب من أبواب المحلات المزارة أن لا يعطى شيء للمزور حيث للمزور راتب يأخذه من أوقاف الحرم الفنية ، فهرول أمامنا وقال هذا محراب يحي وزكريا فصلينا به ركعتين ولقننا دعوات رددناها معه، ثم محراب جامع الأربعين من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ثم محراب سيدنا عمر بن الخطاب ، وهو أصل في الجامع، ثم محرام الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وعلى يمينه محراب منسوب للسيد الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ثم محراب ملاصق للسور القبلي ينسب لسيدنا داوود ، وعلى يمين محراب الإمام الشافعي مكان مستدير به درابزين من حديد بداخله محرابان أحدهما ينسب لسيدنا عيسى عليه السلام ، وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام والثاني ينسب لسيدنا موسى عليه السلام .

وفي القسم الشمالي بالنسبة للداخل إلى ناحية القبلة مسجد البقعة البيضاء وهو مختص بالنساء ومتصل بالمسجد ، يحده سياج من حديد ، فلما خلصنا من هذه المواقف نفحنا الشيخ الأكبر ما قسم له ، ثم خرجنا إلى مسجد الصخرة ، وقبل أن أصل بكم إليه أصف لكم المسجد وصفاً يقربه إليكم بعض الشيء .

وصف المسجد الأقصى :

طول المسجد مائة ذراع في ستة وسبعين ذراعاً ، ويرتفع كثيراً ، وقبته تقع عند المنبر وبه نحو الـ ٤٥ عموداً ، وكلها من الرخام وغيرها نحو الـ١٢ مبنية بالحجارة.

أما المنبر فإنه آية من آيات الفن وهو من خشب الأبنوس وإنه آية في الجمال وحسن التركيب وبه كثير من النقوش ، وكذا المحراب به النقوش المحلاة بماء الذهب والكثير من الجدران مغطى بالرخام اللماع ، وكله مفروش بالبسط الفاخرة ذات الطول والعرض ، وتلاحظ التجديد على الكثير من الشبابيك وغيرها ، وكل ما جدد مكتوب عليه (المجلس الإسلامي الأعلى) . وفي أعلى المحراب ثلاثة سطور مكتوبة بماء الذهب ، وهاك المكتوب (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسسه عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، وعندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة وهو يسأل الله شكر هذه النعمة وإجزال حظه من المغفرة والرحمة.) وبالجملة فإن للمسجد روعته وأبهته وجلاله وهيبته. متعني الله وإياك برؤيته مرات متعددة.

مسجد الصخرة أو قبة الصخرة :

بنيت هذه القبة في عهد أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، ولهذه القبة أربعة أبواب من الجهات الأربعة ، أما القبة فقد جمعت الإبداع الفني وهي آية في الجمال ، فلما وصلناها قابلنا شيخ فان ، فطلب منا الجائزة رغماً عن الإعلان المعلق عند المدخل فوعدناه خيراً ، ولما هممنا بالدخول للصخرة انبرى لنا شاب حديد اللسان ثابت الجنان ، ثم تقدمنا بعد أن حيانا بلطف وظرف ، ثم أضاء شمعة صغيرة ، ودلف بنا إلى داخل الصخرة لأن داخل الصخرة مظلم بعض الشيء فنزلنا ١٤ درجة داخل الأرض حيث تعلو أرض القبة أرض الصخرة كثيراً ، فلما توسطناها لقننا دعوات رددناها معه ، وأخذنا نبحث عن الصخرة وكيفية إقامتها ، أهي كما يزعم بعض رعاع المسلمين معلقة بين السماء والأرض ، لا ترتكز على شيء؟ فإذ هي كما يأتي :

صخرة كبيرة شبه مستديرة ، ترتكز على صخور من الثلاث نواحي ، فتكون غاراً كغرفة مستديرة وسع سبعة أمتار في سبعة تقريباً ، ارتفاع ثلاثة أمتار ، وفي وسط الصخرة ثقب تقابله بئر ولكنها مقفولة يقال لها بئر الأرواح، وفي يمين الداخل محراب من الرخام يسمى محراب سيدنا سليمان عليه السلام، ومحراب آخر يرتفع عن سطح أرض الصخرة بمقدار ذراع يسمى محراب سيدنا الخضر عليه السلام يقال صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم حين عرج به إلى السماء ، ويقال إن العروج كان من ثقب الصخرة وهي روايات تحتاج إلى تحقيق.

وهاك نموذجاً من الأدعية التي يلقنها المزور للزائرين ، فعند مصلى النبي يقول: (اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وفتنة القبر برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين) وعند محراب سيدنا الخضر يقول بعد أن يصلي في كل ركعتين (اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا الشفاعة برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين) وهذه الأدعية تأدية واجب يستحق عليه الأجر. والمشهور عند جمهور العلماء ليس هناك أدعية

مخصوصة وللزائر أن يدعو بما شاء وأن يطلب ما شاء من حوائج الدنيا والآخرة ، كما في الحج.

وفي دائرة الصخرة محل يسمى لسان الصخرة، وما زلنا بين أدعية وصلاة وترديد لما يمليه علينا مزورنا ثم يشرح لنا ما غمض عنا، حتى جاء الكلام على أن الصخرة معلقة بين السماء والأرض ، فوافق على أنها خرافة لا أصل لها، وتكلم عن ظروف الصخرة قبل الإسلام وعقائد النصارى فيها وذبحهم النذر عند الثقب، يزعمون أن النذر إذا كان مقبولاً صعد الدم بهذا الثقب إلى السماء وإلا نزل في البئر التي تقع تحت الثقب تماماً، وما زال اليهود يعظمون الصخرة، قلت إن الصخرة تقع بداخل القبة ولكنها تحاط بسياج من خشب على وضع بديع فيكون هذا السياج شبه غرفة أخرى. وبناية القبة كغرفة خارجية ولكنها واسعة جداً طولها نحو ٢٥٠ ذراعاً في ١٥٠ تقريباً، أما ارتفاعها ٥٨ ذراعاً، أما الأعمدة التي ترتكز عليها القبة فإنها من الرخام ، وبها كثير من النقوش الفاخرة والطلاء الزاهي الجميل وهي آية من آيات الفن ، ولا تسأل عن النقوش المحلاة بماء الذهب فإنها تأخذ البصر ، وهذه القبة لها سقفان أحدهما من الخشب وهو المدهون بماء الذهب وفوقه سقف آخر يعلوه مصفح بالرصاص خالٍ ، وبين السقفين سقف ثالث من السجاد ، وبهذه القبة ١٤ شباكاً جددت ضمن ترميمات المسجد الأقصى بواسطة المجلس الأعلى ، وإن كانت بديعة ومحكمة الصنع وظاهر عليها أثر الحداثة فإن الشبابيك التي عملت منذ ١٢٨٠ تقريباً ما زالت تحتفظ برونقها وبهجتها رغماً من الزمن الطويل الذي مر عليها ولا تتردد في الحكم بأن هذه العتيقة أجمل وأبدع من الجديدة التي عملت في عصر الصنائع فرحم الله الأوائل الذين لم يتركوا شيئاً نفخر عليهم به ، وحقاً ما قالوا "لم يترك الأوئل للأواخر شيئاً"، وإلى هنا خلصنا من الصخرة وما فيها من المزارات على سبيل الاختصار، وقد تركت الشيء الكثير من محاسن القبة ووضعها وما فيها من روعة وجمال حيث يصعب على وافد أن يحصي كل شيء وأن يعرف كل شيء ومن المحقق أن هناك مزارات ومشاهد لم نقف عليها ولم يهدنا إليها مزورنا ولولا مذكرات كنا نأخذها عند المزارات لما وصلنا إلى هذا .

هيكل سليمان عليه السلام ومبكى اليهود:

هذا الهيكل هو جدار المسجد الأقصى من ناحية القبلة أو هو عنده بداخل الأرض ، ومن ناحية القبلة مباني متراصة حقيرة ، وهناك مضيق شبه زقاق ينخفض عن سطح أرض المسجد كثيراً نزلنا إليه بسلالم عددها نحو ٢٠ سلماً حتى وصلنا سطح الأرض ، وهذا المضيق يكون في طول ١٢ متراً في عرض ٣ أمتار تقريباً ، وهذا ما يسمى (مبكى اليهود) أسخن الله عيونهم إذ جعلوه سبب الفتن والشقاق ، وناهيك بويلات هذا المبكى وما جره على العرب مع حقارته وعدم أهميته ، وأنك تجد البوليس يقف عند هذا المبكى خوفاً من التصادم بين اليهود والعرب ، كما تجد جماعة من اليهود بين شيخ فان وشيخة يجلسون تحته وبعضهم وقوفاً يرتلون التوراة وهم في شكل مساكين يتكففون الناس لا قيمة لهم قط ، وقد يكثر عدد اليهود بهذا المبكى يوم يكون عيداً يقدسونه ، وقد ترى بعضهم يبكي وبعضهم يظهر الضعة والمسكنة والسكون كأنه مريض، ولا شاب بينهم قط وهم أسرى الأوهام والتقاليد البالية حيث يعتقد بعضهم أنه يتقرب إلى الله بهذا الجلوس وتلك الترتيلات والدعوات ليرد لهم ملكهم المغصوب وعرشهم المسلوب ، وهيكل سليمان الضائع منهم ومتى قدموا بناتهم ونساءهم للغرب قرباناً عاد إليهم مجدهم ، ولهذا المبدأ يعملون ، وسأقص عليك شيئاً من أحوال اليهود عند محادثة إمام الحرم ، وبعد أن وقفنا به قليلاً خرجنا منه إلى قبور الأموات كقبر الشريف حسين ، شريف مكة ، وقبر محمد علي وقبر شقيق السيد الحسيني مفتي القدس ، وكل منهما موضوع بغرفة خاصة به وعليه سيما المهابة والجلال كما عليه باقات الزهور .

الجمعة بالمسجد الأقصى :

سبق أن قلت إن جميع أهل القدس يصلون الجمعة في المسجد الأقصى ، أما الأوقات فتصلى في المساجد الكثيرة ، لما حان الوقت ذهبنا مبكرين لنحفظ محلاً يقربنا من الخطيب وكان لنا ما أردنا ، ولما أذن المؤذن الأذان الأخير طلع علينا الإمام السيد وهو في مقتبل العمر فاعتلى المنبر وتدفق فصاحة بل آيات بينات في لغة سلسة

وإلقاء مؤثر ، وكان موضوع الخطبة الاتحاد والوئام والأخوة مع شرح معنى كل منها ، ثم عطف على الرابطة الإسلامية وما لها من أثر في تقوية كيان المسلمين ، ثم استرسل في المحافظة على الأوطان وكرامة الوطن وحب الوطن ، ثم خرج من ذلك إلى السماسرة والجواسيس ونادى بمقاطعتهم واحتقارهم والتضييق عليهم ، ونسب إليهم ضياع الوطن والعبث بحقوق الفقراء والمساكين ، فإنك تشتم في رائحة كلامه أنه يوري بقوم ولا قوم سوى الصهيونية وأعوانها الأنذال عبيد الدرهم والدينار وهم سبب البلايا والمحن في كل بلاد أصابها الاستعمار بمحنة . وبعد أن أبان الكثير من أغراض الصهيونية ومراميها حذر الناس من شرهم والوقوع في حبائلهم ، وكانت الخطبة محضرة ، وبعد أن جلس قام للخطبة الثانية فلعن فيها السماسرة وأعوان اليهود ، وقال: العنوهم اللهم افعل لهم كذا وكذا. ثم نزل عن المنبر فأقيمت الصلاة ولما فرغنا منها تفرق الناس ، ولزم الإمام محرابه والتف حوله بعض النفر كل يسأل عن حاجته ، ولك أن تعلم أن هذا المسجد يمتليء بالمصلين على سعته ولا تجد محلاً ما لم تبكر إليه ، ونحن بدورنا دنونا من الإمام وبعد السلام قلت له الإسلام بخير ما دام فيه أمثالك يا مولاي ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولم يصب الإسلام ما أصابه إلا من اليوم الذي أهمل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأجاب بالتأمين على هذا السبب ، ثم تطور الحديث ، والحديث ذو شجون ، ثم سأله الشيخ أبو زيد حسن هلال هل الصخرة معلقة بين السماء والأرض أم هي مستقرة على الأرض ، لأنه لم يقتنع بما شاهده من استقرارها فأجابه بأنها مستقرة على الأرض وما هي إلا أوهام وخزعبلات ولدها جهلة المسلمين وروجها أنصار التقليد الأعمى ومروجو الكرامات والآيات غير المعقولة لجهل المسلمين و عدم تمحيصهم للحقائق حتى الملموس منها ، وها أنت تشاهد ما أقول فاذهب مرة أخرى كيف تراها ترتكز على الأرض إنما هي فجوة في الأرض ، ثم انتقل الحديث إلى اليهود وأعمالهم ، وما يأتون من ضروب الإغراء والحيل لسلب أراضي العرب وإنهم ينشطون يساعدهم المال على تنفيذ أغراضهم ، وقال إن عدد

اليهود بالقدس ٦٠ ألفاً وبيافا وبحيرة طبرية عشرة آلاف، وأنهم يملكون ١/٨ الأراضي، وأن العرب كانوا غافلين عنهم وعن نواياهم السيئة ، ومن هذه المحادثة وتلك الخطبة التي لخصتها لك تشعر بأن العرب يقظون وأنهم شاعرون بالخطر الذي يحدق بهم ، كما أنك تستطيع أن تقول إن العرب يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم ويعتزون بقوميتهم ويفدونها بالنفس والنفيس ، وستتمخض الأيام عن حوادث يسجلها التاريخ بمداد من دم الشهداء الأبطال ، وأكبر ما تلاحظ في هذه المحادثة صراحة السيد وعدم تهيبه الكلام مع أنه لا يعرف عنا غير أنا زوار وكفى .

المزارات المشهورة والقباب بداخل سور المسجد الأقصى:

قبة الأرواح وبها محراب وبجانبها قبة صغيرة على عمد من رخام تسمى قبة الخضر ثم قبة بخ بح وهي على صخرة ثابتة وتحتها سرداب يقصدها الزوار كثيراً. قبة المعراج مكان يعرف بهذا قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم عرج إلى السماء ليلة الإسراء من هذا المكان ، وقريب منها قبة شاهقة على أعمدة من رخام وبداخلها محراب لطيف محلى بالرخام الأحمر ، يقال في هذا المكان صلى محمد صلى الله عليه وسلم بالملائكة والأنبياء ليلة الإسراء. قبة السلسلة وفيها محراب ينسب لسيدنا داود وهي بناية جميلة تقارب بناية قبة الصخرة وبها سبعة أعمدة من الرخام غير عمودي المحراب ، قبلة مريم عليها السلام ويجاورها منبر يقال كان يرقي عليه الإمام لخطبة العيدين ، هذا ما أردنا إيراده من المزارات ، وكل مكان من هذه الأمكنة يصلى فيه ويدعو الزائر بدعوات يحفهظها المزور حفظاً تاماً ، وإلى هنا نخرج من المسجد الأقصى لنمر بك على بقية المزارات التي تقع خارج المسجد .

مقام سيدنا داود عليه السلام :

عند المدخل ردهة واسعة على بناء قديم متين وهذه الردهة منها يتوصل إلى الجامع الذي يقع الضريح في الجانب الشرقي منه ، فالجامع مفروش بالحصر وبناؤه معقود بالحجارة على بواكي متينة وجميلة الوضع ، يتوسطه عمودان كبيران ، وأن مساحة الجامع صغيرة ولكنه متين من البناء القديم ، أما الضريح فإنه في غرفة

تفصلها غرفة أخرى عن الجامع وهذه الغرفة التي بها الضريح مقفلة بباب من حديد له فرجة يطل بها الزائر إلى داخل الغرفة . فلما أدينا تحية المسجد تقدمنا إلى باب الغرفة التي بها الضريح للدعاء والتبرك بمشاهدة الأنوار النبوية . وبالغرف ألواح مكتوب على بعضها الآية (يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق). سورة "ص" آية (٢٦). صدق الله العظيم ، وعلى أخرى (لا إله إلا الله الحق المبين محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين) ، وعلى ثالثة (من كان في قلبه الله فمعيته في الدارين الله ، ومن كان في قلبه غير الله فخصمه في الدارين الله) وبالجملة فإن المسجد وما فيه من النقوش يمثلان التواضع التام .

ثم صعدنا إلى الطابق العلوي للجامع فإذا به غرفة واسعة ترتكز على عمودين من الحجر ، قيل إن سيدنا عيسى عليه السلام أكل آخر عشاء في هذا المكان ، وذلك اعتقاد النصارى وهذه الغرفة في وسع الجامع تماماً ومسقوفة بطريقة العقد ، وجميعها مفروش بالسجاد وبها محراب للصلاة لأن الأصل في البناء أنه كان كنيسة ، ثم حولت إلى جامع وفي صحن الجامع بئر ولكنها غير مستديمة الماء يكثر ماؤها في الشتاء ويغور في الصيف، وبالجملة فإن للجامع والمشهد روعتهما وجلالهما إذ هما يضمان جسد نبي من الأنبياء الكرام ورسولاً مكرماً .

ثم خرجنا إلى ميدان باب العمود حيث تقف عربات الأجرة لنكتري واحدة توصلنا إلى جبل الزيتون ، فوصلنا في الساعة الخامسة فدفعنا ٣٠ مليماً لكل راكب ١٠ مليمات بقصد الوصول بالتورني أو الباص إلى الزيتون فوصلناه بعد ١٥ دقيقة .

الزيتون أو جبل الزيتون :

جبل الزيتون هو محل مرتفع عن سطح أرض القدس كثيراً ،و هو يقع شرق القدس وبه كثير من السكان والمباني المتواضعة ، فلما وصلناه توجهنا إلى ضريح الشيخ محمد العلمي مع زوجته السيدة عائشة من ذرية سيدنا الحسن رضي الله عنه ، فدخلنا من الباب الموصل للزاوية التي بها محل للصلاة فأدينا به ركعتين . وهي عبارة عن بناية مربعة في وسع ٥ أمتار في ٦ تعلوها قبة مطلية بالجير الأبيض ولا شيء عليها ، وفي يمين الداخل باب ينزل به إلى الأرض ، يهبط الزائر بسلالم عددها ٢٠ سلماً ، وبعد ذاك تجد المقام محاطاً بسياج من الخشب الاعتيادي ومغطى بقطيفة سوداء عليه نقوش قليلة . وبجوار هذا المقام بعد أن يخرج الزائر من تحت الأرض بالسلالم التي دخل بها يجد سوراً داخله قبة يقال إنها المحل الذي صعد منه سيدنا عيسى عليه السلام ، كما يجد أثر قدم محاط بمربع من الأسمنت طول٨٠ سنتي في ٤٠ تقريباً.

سلمان الفارسي :

مقام سلمان الفارسي يقع شرق مقام الشيخ العلمي ، وهو في بناية صغيرة جميلة عليها أثر الحداثة ، ففي مدخل البناية المسجد وغربه الضريح ولا شيء على الجدران قط غير لوحة مكتوب عليها (قال عليه الصلاة والسلام سلمان من آل البيت) ثم لوحة أخرى مكتوب عليها (عز الدنيا بالمال وعز الآخرة بالأعمال) والمسجد مسقوف بالخرصان المسلح وقد جدد بناءه (محمد عيسى أبو الهوى) من أهالي الطور سنة ١٣٤٦.

قبة الأربعين:

قبة الأربعين تقع على باب مغارة يقال كان يأوي إليها أربعون مجاهداً من صحابة رسول الله يلجأون إليها للاختباء، ومن حول القبة قبور كثيرة وهي الجبانة العامة لأهل الطور وفي هذا الجبل قبر السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها ، وفي الطور، كنيسة بديعة الصنع للألمان وهي في الجانب الشرقي الشمالي ولا شيء بالطور غير ما ذكرناه سوى محل يقال عنه محل عصا موسى عليه السلام، وتلك رواية مزورنا.

ولما عدنا إلى باب العمود مررنا على مقبرة الجند الإنكليز وهي في غاية الجمال وأجمل ما فيها النواويس المقامة على القبور ومنها الذي عليه التماثيل ومنها الذي عليه أشكال الطيور وأشكال الإنسان وبأجنحة وبدون أجنحة .

مدينة الخليل سيدنا إبراهيم عليه السلام :

مدينة الخليل الأثرية تقع شرق القدس وهي مدينة عامرة وتكثر فيها (فراد) (المرعز) التي ترد إلينا وبها متاجر كثيرة ، امتطينا السيارة من باب الخليل بأجر قدره أربعون قرشاً ، وذلك في الساعة ٢:٢٠ بعد الظهر ، فوصلنا في الساعة ٣:١٠ وفي طريقنا مررنا على مزارع القمح المطرية وهي على رؤوس المرتفعات ومجاري السيل ، وتكثر في طريقنا أشجار العنب والمشمش وشجر السرو البديع المنظر بشكله المرتفع المعتدل على شكل مخروط ، وكلها مخضرة وعليها النضرة والجمال ، ولا ترى موضع قدم قاحل قط ، غير أن الطريق ملتو ، فالسيارة مرة تصعد ومرة تغرب ومرة تشرق، فكأنها حية تسعى ، ولا غرابة فالأرض جبلية وكثيرة المجاري والمرتفعات، ولكن المنظر بهيج جذاب لا يمل قط لأنه فوق ما يتصور ، فلما وصلنا طرف المدينة نزلنا من السيارة ومشينا مسافة طويلة راجلين لأن الشوارع ضيقة جداً لا تمرر السيارة، وشوارعها تمثل شوارع وأزقة مكة المكرمة وأزقة خان الخليلي بمصر ،فما زلنا ندخل من زقاق إلى آخر وهي مظلمة ، مع العلم نحن في آخر النهار ، فإذا بنا نشاهد المتاجر الكثيرة والحوانيت الصغيرة، لا يزيد الدكان عن ٣ أمتار في ٢½ وكلها شكل قسيرية كما في القدس تماماً.

فلما وصلنا إلى باب جامع سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لاحظنا إعلاناً مكتوب على المدخل (غير مصرح بدخول غير المسلمين الحرم الإبراهيمي الشريف إلا بإذن خطي من المجلس الأعلى) والمدخل العمومي للمسجد يرتفع عن سطح الأرض بنحو ٢٠ سلماً فكأنه وهذا الارتفاع سكن ثاني أي دور ثاني، وأن الحرم مكون من ثلاثة مساجد ، دخلنا المسجد الأول فإذا هو المحراب ولكن لا نقوش ولا

لوحات عليه ، غير أن البناء من الحجر المتين ذي القطع التي تتراوح بين المتر وثلاثة أرباعه ، فلما فرغنا من تحية المسجد انبرى لنا شيخ ، وقال: (هلموا إلى مقام خليل الرحمن. فقلنا : أجل".

فتقدمنا إلى داخل البناء فإذا نحن نقطع دهليزاً كبيراً شبه جامع ، ثم نجد أنفسنا في صحن المسجد حيث لا سقف عليه ، ثم لف بنا نحو الشرق فإذا نحن عند باب هو باب مسجد الخليل الذي به المقام ، وفي يمين الداخل مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وقفنا عنده دعونا بدعوات لقنا إياها فرددناها معه ، وعلى شمال الداخل مقام السيدة سارة زوجه ، فدعونا ، وهذان المقامان يقعان عد المدخل في حتة صغيرة شبه فرندة ، ثم دخل بنا المسجد فإذا هو على جانب عظيم من العظمة والجمال وبه كثير من النقوش والزخرفة البديعة وأساطينه وجدرانه كلها من الرخام الجميل الصنع والوضع وجميع المسجد مفروش بالطنافس الفاخرة ، وفي وسط هذا المسجد مقام سيدنا إسحاق عليه السلام من ناحية اليمين للداخل ومن ناحية الشمال مقام السيدة رفقة زوجه.

فبعد الزيارة والدعاء جلسنا لتأدية فريضة العصر جماعة ، فلما فرغنا منها حثنا مزورنا على زيارة بقية المقامات التي بهذا الحرم، فخرجنا إلى صحن المسجد الذي دخلنا منه ، وهناك وقفنا على غرفة مقفولة ، وقال هذا مقام سيدنا يعقوب عليه السلام وزوجه ، ثم إلى غرفة أخرى ، وقال هذا مقام سيدنا يوسف الصديق عليه السلام فكنا نقف عند كل ضريح وندعو بما شئنا من حوائج الدنيا والآخرة. ثم عاد بنا إلى المسجد ، وقال هنا المغارة التي تطل على جميع القبور لأن القبور في الأرض، ومن قبل عند الدخول قلت لك إن المسجد يرتفع عن سطح الأرض كثيراً وهو كسكن ثانٍ ، والحقيقة هذا المسجد مبني على القبور يقوم على عمد كبيرة وهذه الفجوة التي يطل منها الإنسان عبارة عن ثقب مستدير قطره نحو ٤٠ سنتي وعليه شبك من حديد وعندما ينظر منه الإنسان يرى نوراً ينبعث من قنديل زيتي ضئيل ، وقال إن أبواب المغارة مقفلة لا يمكن النزول إليها كأمر المجلس الأعلى. وهذه المقامات التي مررتم عليها

تمثلها تماماً لأن كل مقام مقابل للقبر تماماً. ومن هذا الوصف يتضح أن كل أرض المسجد تتمركز على البواكي المعقودة بالحجارة ومن تحته خال لا شيء فيه غير المقابر المذكورة ، ولما فرغنا من هذا الطواف وهممنا بالانصراف أشار إلى جماعة جلوس ، وقال: "هؤلاء مزوري المسجد الإبراهيمي ، فإن رأيتم إعانتهم بشيء شكرتم ، وإلا فأنتم في حل" ، فقلنا: "لابد" ونفحناه ما فيه القسمة ليوزعه عليهم ، بمعرفته ، ثم ودعناهم وخرجنا نشق الحي إلى موقف السيارة حيث تركناها فامتطيناها وعدنا أدراجنا إلى القدس وفي طريقنا عرجنا على ما سنذكره من الأماكن والمزارات .

بيت لحم:

(بيت لحم) اسم لمدينة من طراز مدينة الخليل ، تقع بين القدس والخليل وهي تشابه مدينة الخليل والقدس في كل الوجوه ، في المباني والأزقة والحوارى ، فوقف السائق عند الميدان المعد للوقوف ثم ترجلنا إلى داخل المدينة لنصل إلى (كنيسة المهد) وهذه الكنيسة تقع في ميدان قاحل لا شيء فيه ، وأنها ذات بناء عادي متين يرتفع عن سطحح الأرض كثيراً لأنه على جبل عالى يطل على جميع نواحي المدينة . فدخلنا الكنيسة من باب حقير لا يلفت النظر وهو في طول ١٢٠ سنتي وعرض ٨٠ تقريباً ، وعند الدخول واجهتنا ردهة واسعة ذات أعمدة من الجانبين وعلى الأعمدة أثر الأيدي المتسخة تدل على الإهمال وعدم العناية التامة ، وعند مدخل الردهة تماثيل متعددة وشموع كثيرة منها الصغير والكبير جداً والوسط وكذا التماثيل وبها كثير من القناديل الكهربائية ، وعلى يمين الداخل مدخل ينخفض عن سطح الأرض (الردهة) بنحو ١٧ سلماً ، وهناك محل ميلاد المسيح عليه السلام ، هو أشبه بمحراب صغير طوله ٨٠ سنتي وعرضه ١٢٠ سنتي تقريباً ، أو قل كباب (الفرن) ومن خلف هذا المحل محل يقال له (المعلق أو الممدود) ، ثم محل النخلة التي جاء ذكرها في القرآن (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً). سورة مريم آية (٢٥). فدعونا ما شاء الله أن ندعو وهذا المحل أي محل النخلة يقع بالقرب من بئر قريبة القعر بنحو متر ونصف

تقريباً ، ثم خرجنا إلى غرفة أخرى واسعة وبها مقاعد كثيرة تجعلها أشبه بقاعة المحاضرات أو محل تمثيل ، وأمام المقاعد تماثيل متعددة للسيد المسيح والقديسين وتمثال لرجل يركب فرساً وهو يحاول قتل حية عظيمة وهي تلتف برمحه ، قال مزورونا (إنه الخضر عليه السلام) أما منظر الكنيسة الإجمالي فإنه يدل على عدم العناية كما تقدم وبالجملة فإن منظرها عديم الروعة الفنية لولا أنها شبه مغارة وبناؤها متين ، ويقال أن الذي بناها هي الملكة هيلانة الرومانية التي بنت كنيسة القيامة .

كنيسة اللبن :

كنيسة اللبن بجوار كنيسة المهد وهي في جبل وجميع مداخلها وغرفها منحوتة في داخل الجبل ، ولها مداخل منظمة لا بأس بها ، فلما ولجناها وكانت مظلمة ، أنيرت لنا بالشموع ، فإذا نحن أمام تمثال مزركش بأنواع من الحلي وهو من الذهب ، كما ظهر لنا ، قالوا أنه تمثال السيدة مريم عليها السلام وهي تحمل السيد المسيح عليه السلام ، ويقولون أن السيدة مريم اختفت في هذه المغارة ريثما تذهب لمصر متنكرة هروباً من الظلم والتعدي عليها وعلى مولودها ، ثم محل آخر به صورة السيد المسيح قيل هنا درّ له (اللبن) ، كما تجد كثيراً من الصور والتماثيل ، وفي اثناء هذا الطواف يرافقنا القسيس بنشاط واهتمام ويبادر إلى فتح الموصد من المحلات ، وأخيراً أشار إلينا مخبرنا بأن نعطي القسيس مساعدة قليلة كزيارة بعد أن أرانا صحناً صغيراً به قطع من النقود من فئة القرش ونصفه ، فنفحناه من جنسها ثم خرجنا.

وهذه الزيارة والتي قبلها والبعدها أيضاً ما هي إلا من باب العلم والوقوف على طقوس وعادات النصارى لأنهم يعرفون الكثير من أحوال المسلمين، ونحن نجهل أقل شيء عنهم مع أننا يجب أن نتعلم السحر ولا نعمل به ، وسيكون لهذه الزيارات شأنها يوم يأتي الكلام عن العادات والتقاليد الصالحة والفاسدة عندنا وعندهم ، فلا يذهب بك الظن مذاهب ، ثم عدنا في طريقنا فإذا نحن بقبة سألنا عنها قيل لنا إنها قبة السيدة راحيل والدة سيدنا يوسف الصديق عليه السلام ، فرأينا أن نزورها أيضاً .

قبة السيدة راحيل :

قبة السيدة راحيل موقعها أمام القدس في طريق الخليل ، وهي عبارة عن دهليز كبير وبداخله القبة البسيطة ، فلما أردنا الدخول إلى داخل القبة بعد الدهليز قابلنا ثلاثة من القساوسة وقالوا: "رسم الدخول قرش واحد" ، فقلنا: "ولم؟ ، أليست الزيارة مباحة"؟ قالوا: "نعم، ولكن لابد من الزيارة " ، فلم يسعنا إلا الرضوخ لأمرهم فإذا بداخل البناية ضريح السيدة وهو من الجبس ومطلي بالطلاء الأبيض والأحمر،

فقرأنا الفاتحة على روح السيدة ودعونا بما شئنا ، فإذا نحن بسيدة مسيحية تتعلق بالضريح وتبكي بكاءً حاراً والقس يرتل ترتيلات من كتاب بين يديه لم ندر ما كان يقوله ، وهي تجهش بالبكاء والنحيب مرة ترفع صوتها ومرة تخفضه ، كما أن القس يرفع صوته بالتلاوة ويخفضه أخرى.

ثم خرجنا فركبنا السيارة التي أوصلتنا إلى اللكوندة عند دخول المغرب ، فارتحنا ليلتنا ونمنا نوماً عميقاً تتخلله يقظات لطيفة حيث لا بق ولا قراص ، كما في مصر. كان عمنا محمود يسامرنا سمر الأخيار المؤمنين ، والأخ أبو يزيد يموت من الضحك على نكات العم وسلامة نيته التي جعلتنا نألفه ونحبه على غير سابق معرفة ، كما أنه وضع ثقته كلها في شخصينا وجعلنا كأولاده .

صباح يوم ١٦ إبريل ١٩٣٦م :

في الصباح الباكر نزلنا من لكوندة الماجستيك بعد أن أدينا فريضة الصبح وجهتنا ميدان العربات عند باب الخليل ، وهناك عرجنا على مقهى المعارف بشارع المحطة وهو في الطابق الثاني لنرشف الشاي الفلسطيني اللذيذ ، فلما دخلناه جلسنا في ناحية منه وكل منا طلب ما يريد ، وكان المقهى بحق يسمى مقهى المعارف من حيث النظافة ورقة وأدب العمال ، مع الاهتمام بالزوار فاخذنا كفايتنا ثم نزلنا إلى مطعم الاقتصاد ، ومنه يممنا الموقف لنأخذ عربة توصلنا لسيدنا موسى الكليم عليه السلام ، ثم إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط أو بحيرة لوط كما يسميها بعضهم ، ولما أردنا أن نساوم سائقي السيارات وجدناهم متضامنين لآخر حد ، فم نستطيع الا تفاق معهم ، فبعضهم يقول المشوار بعيد نأخذ منكم واحد جنيه ، وآخر يقول ١٢٠ ولما كنا نجهل المسافة ملنا إلى الملاحة والمساومة ، وعمنا محمود مال إلى العبط والاستهبال ، فإذا رضينا يرفض ثم يقدر الأجر ويحلف لا يقبل إلا به وأن يترك هذه الرحلة قائلاً : (وأهو وصلنا الأدس وخلاص.. يا الله يا أولاد.. وبلاش لف..ودا على مين)؟. ومن أمثال هذه الجمل اللذيذة في نطقه الطبيعي الساذج وأخيراً أشار علينا بعضهم بأن

نذهب إلى باب العمود حيث تكثر السيارات هناك وأنت العليم بأننا نجهل موقع باب العمود.

فما زلنا نسأل كل من قابلنا حتى قيض الله لنا شابا شايقي القبيلة من بلدة الزومة فلما سألناه وقف باهتمام وحيانا تحية حارة وقال : "هون باب العمود" أي هنا وهرول امامنا ، وما زلنا نمشي ونتحدث عن البلد وعن الشاب وأهله وما الذي جاء به هنا ، فعلمنا أنه تبع ضابط انكليزي بيطري، فلما وصلنا باب العمود صار يفاصل ويساوم سائقي العربات وهم يظهرون التضامن ، وعدم التزاحم وكل يسأل أخاه كم قلت لهم فيقول كذا فيطلب منا نفس المبلغ أو أكثر منه قليلاً ، وأخيراً اتفقنا مع أحدهم بملبلغ ٧٠ قرشاً يوصلنا لمقام سيدنا موسى ثم إلى البحر الأبيض المتوسط .

في طريق سيدنا موسى :

ركبنا السيارة في الساعة ٧:٢٥ صباحاً ، واندفع السائق في سيره لا يلوي على شيء غير الأسئلة التي نوجهها إليه من وقت لآخر عندما نشاهد شيئاً غريباً وكان يرد علينا رداً لطيفاً ، وكأنه يعرفنا من أمد بعيد والرجل فلسطيني الجنس والطريق مثل طريق مدينة الخليل من حيث التعاريج والمضايق والالتواء والمرتفعات والمنخفضات الكثيرة ، غير أن الطريق مرصوف كله بالحجارة وبعضه بالأسفلت وهذا التعبيد من عهد الأتراك ، لأن هذا الطريق هو طريق شرق الأردن ، أما طريق الخليل فجباله ووديانه أكثر خصوبة وأجمل مناظر أما هذا الطريق فتكثر فيه الجبال التي لا نبات ولا زرع بها قط ، وبعضها غير صالح لأنه صلب ، ولما قاربنا البحر تنقلب الأرض إلى صحراء جرداء لا نبات ولا شجر ، أما الأسفلت الذي ببعض الطريق فهو من وضع الإنجليز ، فما زلنا في صعود وهبوط والسائق يسرع مرة ويبطئ أخرى ، حتى وصلنا مقام سيدنا موسى عليه السلام ، وذلك بعد ٣٥ دقيقة من قيامنا فنزلنا من السيارة وتوجهنا إلى المسجد .

مقام سيدنا موسى :

مقام سيدنا موسى عبارة عن بناية متعددة الغرف ولا توجد بجوارها منازل للسكن لأنها تبعد عن القدس ، وأرضها غير صالحة للزرع كما قدمت لهذا فهي قائمة بنفسها غير أن مقابر كثيرة أمام البناية، والمدخل إلى الضريح من دهليز كبير يتوصل به إلى المسجد وأمام المسجد الذي به الضريح فرندة يدخل الزائر منها فيواجه المحراب ، وعلي يمين الداخل الضريح ، فلما وصلنا الجامع أدينا تحية المسجد وجلسنا قليلاً للاستراحة ثم واصلنا الطواف على المسجد ومنافعه وما فيه من الآثار ، أما الجامع فصغير جداً ومفروش بالحصر الاعتيادية ولا شيء عليه من النقوش والزخرفة وأنه مطلي بالجير الأبيض ، وبالجدران لوحات مكتوب على بعضها بالخط النسخ (وكلم الله موسى تكليماً). سورة النساء آية (١٦٤). وعلى أخرى (حسبي الله وكفى) وعلى ثالثة (محمد عليه السلام) وعلى رابعة (لا إله إلا الله الحق المبين ، محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين) أما القناديل فإنها كبابي كبيرة وعليها مسرجة من القطن تضاء بالزيت ، ومجموع الغرف التي بهذه العمارة كما قال حارس المسجد ٣٦٠ غرفة وقد بنيت هذه الغرف والمسجد في عهد عبد الله باشا والي طرابلس وصيدا وغزة سنة ١٢٣٥ هـ، وذلك مستفاد من الكتابة على الحجر الموضوع في أعلى الباب أي باب المسجد ، وهذا الجامع يفتح في كل عام ويؤمه الناس من جميع النواحي ويقيمون فيه أسبوعاً ، وهذا الاحتفال كعيد سنوي أو كما نسميه حولية ، وتذبح لهم الذبائح ويطعمون كلهم ، وهذه الولائم لحساب المجلس الإسلامي الأعلى الذي يستمد المال من الأوقاف لهذا المسجد ومسجد الخليل وغيرهما ، وقال الحارس إن الذي ذبح من الأغنام في هذا العام هو ٧٠ خروفاً. وتقام الأسواق لجميع الأصناف كما يعمل عندنا أيام المولد النبوي الشريف ، وكما في مصر.

وعند الساعة ٨:٢٥ خرجنا من المسجد بعد أن نفحنا الحارس قطعاً من النقود ، ثم يممنا البحر الأبيض ، واندفع السائق يداعب سيارته وهي تنساب كالحية الرقطاء ، وبعد ٢٠ دقيقة من قيامنا وصلنا شاطئ البحر حيث البار الفاخر ذو المقاعد

الجميلة يحتل الشاطئ منفرداً لا أنيس ولا جليس ، فنزلنا من السيارة ودخلنا البار الذي يؤمه السواح .

في البحر والحمام :

هذا البار يقع على الشاطئ وهو يتولى عملية النزول في البحر كما يعد الطعام للسواح الذين يذهبون بوابور خاص إلى حمامات الزرقاء التي يخرج ماؤها من عيون بالجبال ، وهو صالح لشفاء الأمراض المزمنة كالروماتيزم والربو وغيرهما ، وهو يبعد عن هذا المكان بساعتين بوابور البحر ، وله اعتماد خاص مع أصحاب هذا البار يجهزون كل ما يحتاج إليه السائح فدخلنا البار وسألنا عن محل الحمام فدلنا عليه أحد العمال الإنكليز ، فإذا نحن أمام كشك من الخشب به سيدة انكليزية لا تعرف من العربي شيئاً إلا كلمة سبعة ونصف، فلم نستطع التفاهم معها لجهلنا بلغتها، وقد استعملنا الكلمات التي نحفظها فلم نفلح وأخيراً حضر أحد الخواجات وكان يعرف العربي كمعرفتنا للإنكليزي فتفاهمنا معه وعلمنا أنه يطلب سبعة قروش ونصف أجرة لباس البحر والاستحمام بالماء العذب وإذا معنا لباس البحر يأخذ خمسة قروش فلم نجد طريقة غير دفعها ولو ان العم محمود رفض أولاً ثم قبل على مضض لأنه يرى لا لزوم لهذا المبلغ ، ثم ارتدينا الملابس بعد أن خلع كل منا ملابسه ووضعها بغرفة من الخشب خاصة به، ثم نزلنا البحر فأقمنا به مدة بين سباحة وغوص وكل يحذر أخاه بأن لا يفتح عينيه خوفاً عليهما من شدة الملح وما يفعله من ألم ، آخر منا يستحسن فتحهما لأنه دواء ويقال إن هذا الماء مفيد لجميع أمراض الجلد ، وبعد مدة عدنا إلى غرفة الثياب ففتحنا الماء العذب لنزيل ما علق بأجسامنا من الملح ثم ارتدينا ثيابنا وتوجهنا للبار ، وهناك تعارفنا بشاب اسمه عثمان من أهالي بربر فشرح لنا الكثير من خواص هذا البحر وما يستخرج منه من الخامات التي تصلح للعلاج من بعض الأمراض كصبغة اليوم والسم الكيماوي وملح طبي وملح طعام وعلى الساحل معامل لاستخراج الخامات التى ترسل للمعامل الكبيرة بأوروبا لتحللها تحليلاً كيماوياً .

ولا يوجد سكان من الأهالي بهذا المحل ، والمسافة بين هذا البحر وسيدنا موسى ٢٠ دقيقة بسير العربية ، ثم عدنا أدراجنا وفي طريقنا عرجنا على المزارات الآتية :

مقام سيدنا العزير عليه السلام :

مقام سيدنا العزير يقع بين المنازل الحقيرة العامرة بالأهالي وأن مدخله يرتفع عن سطح المقام كثيراً فكأنه والحالة هذه قائم على رأس تل كبير من حوله المنازل فنزلنا ١٧ سلماً داخل الأرض ، وهناك رحبة صغيرة أمام المسجد وبها بئر غير عميقة لا تزيد على مترين فدخلنا المسجد حيث ضريح سيدنا العزير والضريح يكون في يمين الداخل ، أما المسجد فصغير ولا شي عليه سوى الحصر البلدية ، وعلى الضريح سياج من الخشب ، فبعد تحية المسجد وقفنا أمام القبر للدعاء ثم فتشنا على ما بالجدران من النقوش والكتابة فلم نجد غير لوحة مكتوب عليها الآية هكذا (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنَّى يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه). سورة البقرة الآية (٢٥٩). الآية نزلت في حق صاحب هذا المقام نبي الله العزير عليه السلام ، ثم لوحة أخرى عليها النسب المحمدي الشريف ، فخرجنا من السلالم التي دخلنا منها ، وعلى باب الدار الأعلى غلمان ونساء يطلبون الزيارة ، فأعطينا بعضهم ما قسم لهم ، ثم امرأة تحفظ المفتاح ، وهذه عندما أحست بمقدمنا حضرت ومعها المفتاح ففتحت الباب بلطف والأخرى أخذت نصيبها .

كنيسة مريم عليها السلام :

وفي طريقنا ونحن آيبون من البحر عرجنا على كنيسة مريم وهي قريبة من مقام سيدنا العزير ، بابها الثاني داخل سور له باب ، فبعد أن دخلنا الباب الأول وجدنا رحبة واسعة لا شيء عليها ، وفي ناحية الشرق باب طوله حوالي ١٥٠ سنتي في ١٠٠ ، وهذا الباب يدخل إلى المغارة التي تنخفض عن أرض السور بنحو ٤٥ درج ، وباب السور ينخفض عن أرض البلد بنحو ١١ درج ، وبهذه الحالة كأننا ندخل مغارة تحت الأرض ، والحق أنها مغارة بحق وحقيقة ، وما زلنا ننحدر إلى داخل الأرض حتى نزلنا ٤٥ سلماً ، وقبل أن نبدأ بالنزول قابلنا القس ، ومعنا جماعة من السياح المسيحيين ،

وسلم كلاً منا شمعة مضأةً لتنير له الطريق المظلم، فلما استقر بنا السير على سطح المغارة الاعتيادي ، اتجه بنا مخبرنا وهو غلام لا ندري أهو مسلم أم مسيحي ناحية اليمين ، وقال هذا قبر سيدتنا مريم فإذا هو مغطى بغطاء بالٍ ،و هو شبه صندوق من الحجر ، فلما أدينا الفاتحة دلنا على غرفة أخرى بها صور محلاة بماء الذهب للسيدة مريم تحمل السيد المسيح. وبها كثير من الصور والتماثيل ، ثم عطف بنا إلى ناحية أخرى من المغارة وقال هنا قبري والدي السيدة مريم عليهما السلام ، وهذه الكنيسة عبارة عن جبل نحتت فيه الغرف وجعلت لها فرندات ومداخل كأنها مبنية من الحجر ، وهي تقرب من كنيسة المهد ، وفي ناحية من المغارة بئر فشربنا منها فإذا ماؤها بارد عذب ولما عدنا للخروج طلب منا القس أن نعطيه شيئاً مقابل الشموع فنفحناه شيئاً يسيراً.

ومن هذا الوصف ندرك أن البلد جميعها على جبال وفي بطن وديان ، وأن أهلها الأقدمون يسكنون الكهوف لرطوبة الطقس وإن كانت رطوبة محبوبة في فصل الربيع ولكنها تكون برداً شديداً في الشتاء ، وهذا ما يجعلهم يأوون إلى هذه المباني التي غالبها تحت الأرض وفي بطون الجبال ، وعندما كنا في مدينة الخليل رأينا في بعض الحوانيت صناعاً يصنعون الملابس من جلود المعز ذات الوبرة الطويلة في شكل بوالطي ، وهي رائجة بينهم فسبحان من قسم الحظوظ ، فلا عتاب ولا ملام أعمى وأعشى ، ثم ذو بصر وزرقاء اليمامة .

كنيسة الجسمانية :

وعندما خرجنا من كنيسة مريم لفت نظرنا سائق السيارة إلى كنيسة الجسمانية لأنها بالقرب من تلك ، فدخلنا في ردهة بها دواليب للكتب وزر الإنارة بالكهرباء ، فعبث الأخ أبو زيد بالزر فأنار ولما أحس القس بحركتنا خرج مسرعاً وقال: ماذا تريدون؟ قلنا الزيارة يا أبونا. أرنا ما في الكنيسة. قال أنتم (قبط)؟ قلنا: كلا إنما نحن زوار من السودان. قال: طيب. خشو وانظروا محل صلاة السيد المسيح.

ولما توسطنا الكنيسة وجدناها على آخر طراز وزخرفة بأنواع التماثيل والصور الفاخرة ، وهي مقامة على رأس جبل دك أكثره ولم يبق إلا أثره وفي وسط دائرة صخرة كبيرة يحيطها سياج من الحجر المنحوت والرخام بشكل مربع، وفي كل ركن من أركانه الأربعة صورة طائر منحوتة من الحجر ، وفي أثناء وقوفنا بهذا المحل حضرت امرأة مسيحية متأنقة فوقفت بخشوع ثم ركعت أمام كل صورة من الصور التي بالأركان ، فأراد الشيخ أبو زيد أن يسألها عن محل صلاة المسيح فلم ترد عليه قط.

وبالجملة فإن الكنيسة آية في الإبداع وعليها أثر الحداثة ، يظهر أنها بنيت قريباً ، وأمامها حديقة بديعة الوضع ، غير أن أشجارها لم تزل صغيرة وهذه آخر مرحلة من مراحل الزيارة ولما كان معنا الوضوء يممنا المسجد لأداء الجمعة وكانت الساعة ١١:٣٠ وقد حدثتك عن الجمعة والجامع والزحام في محل غير هذا فلا داعي للإعادة. وأما وقد فرغت من الزيارات فخير لي ولك أن أدلك على الزيارات وأسماء المزارين مجملة بعد التفصيل .

المزارات التي داخل سور المدينة :

أما المزارات التي بداخل سور مدينة القدس الشريف فها كها :

١ / الشيخ محمد البصري ٢/ الشيخ القرمي ٣/ الشيخ محمد المثبت ٤/ الشيخ أبو يزيد البسطامي ٥/ الشيخ جلال الدين الرومي ٦/ الشيخ فريد ٧/ والشيخ لؤلؤ ٨/ الشيخ حسين بن علي ٩/ الشيخ عيد ١٠/ الشيخ أبو مدين الغوث ١١/ وقبر سيدنا يونس عليه السلام ١٢/ وعين سلوان ١٣/ بئر سيدنا أيوب عليه السلام .

المزارات التي خارج سور المدينة:

سيدنا عكاشة ، وسيدنا قمبر ، وأولاده ، وقبر السلطان إبراهيم الأدهم ، وسيدنا شداد بن أويس الأنصاري ، وسيدنا عبادة بن الصامت.

وإلى هنا فلنترك القدس ونلتقي بك عند سيدنا صالح فيافا ثم تل أبيب .

من القدس إلى سيدنا صالح عليه السلام :

عصر يوم ١٦ ذهبنا إلى ميدان الباص للاستعلام عن الأجرة من القدس (ليافا) فإذا العربات لها شركات كل تحتكر ناحية خاصة وعلى الراكب أن يذهب للشركة ويتحصل على تذكرة الذهاب أو الذهاب والإياب ، والأجرة زهيدة فهي ٧ قروش ونصف للراكب من القدس ليافا . ولما كان قصدنا زيارة سيدنا صالح عليه السلام ولجهلنا بالنظم المتبعة لم نأخذ التذكرة لسيدنا صالح بل أخذناها ليافا وما زلنا في انتظار (البص) الذي يقوم حتى أدركنا المغرب فأدينا الفريضة ثم حضر (البص) وفي الساعة ٦:٣٠ تحرك بنا وجهته يافا (والرمل) محل ضريح سيدنا صالح عليه السلام يقع بين القدس ويافا واندفع السائق بسيارته رغم شعب الطريق الملتوية وكثرة المنعطفات والمرتفعات والمنخفضات التي تجعل الراكب يشعر بالخطر الذي يهدده بل الموت الأحمر أمامه حين يرى المباني تارة أمامه وتارة من تحته لا يستطيع النظر إليها لبعدها عن مستوى سيره وتارة تصعد السيارة إلى ما يقارب قمم الجبال ، ومن لطف الله علينا لم يحصل ما يعكر صفو سيرنا ورغماً من الظلام فإنا نستطيع أن نشاهد الأشجار الباسقة والحقول الواسعة وأشجار الفاكهة على اختلاف أنواعها ومزارع القمح الجيملة ، وما زلنا غارقين في هذه المشاهد وتلك المناظر المبهجة حتى كانت الساعة ٧:١٥ فإذا نحن نخرج من منطقة الجبال والأودية والطرق المحدودة إلى أرض معتدلة وطريق معبد بعض الشيء ، وهنا أسرع السائق في سيره بسرعة ٧٠ كيلو في الساعة ولما كانت الساعة ٧:٥٥ وصلنا محطة الرمل وهي بلدة عامرة بالسكان وبها متاجر وسوق لا بأس به ، فرأينا أن نجلس بدكان بقال قليلاً لنرتاح من التعب الذي ألم بنا فأكرم الرجل مثوانا وباسطنا كثيراً ، ثم قصدنا سيدنا صالح .

سيدنا صالح عليه السلام :

ضريح سيدنا صالح يقع في الجانب الشمالي من مدينة الرمل وحول المقام قبور كثيرة ، وأظنه الجبانة العامة ، وهو يبعد كثيراً عن محل موقف السيارات . ولما كان الوقت ليلاً ولا دليل لنا غير سؤال من نقابله ، فقد تعبنا بعض الشيء وما زلنا

نسير على الوصف حتى دخلنا الجبانة ، ومنها اهتدينا إلى المقام لأن حركة الناس بقايا العيد ما زالت تقيم بالجبانة ، ثم يممنا الضريح فإذا هو غرفة عادية وسع ٤ متر في ٤ وبداخله قبر سيدنا صالح داخل سياج من خشب مغطى بكساء وحول الضريح نساء ورجال وشموع مبعثرة على الحصر ، وقفنا أمام الضريح ودعونا بما تيسر ثم مررنا على القبور فترحمنا على الأموات عموماً.

وعلمنا أن في هذا المقام يقام حفل سنوي يحضر إليه المسلمون من نواحٍ بعيدة كما في سيدنا موسى ، وتقام الأسواق والمقاهي والملاهي ويجتمع الناس في صعيد واحد للذكر والتلاوة وغيرها من مراسم الأعياد المبتدعة عند المسلمين ، وقد عمت بلواها جميع أقطار المسلمين حتى أصبحت لا يخلو منها بلد ورحم الله أخيار مصر وعقلاؤها الذين حرموا الملاهي التي تخالف الشرع في أيام الاحتفال بالمولد النبوي الشريف . وقد رأينا الأكواخ والرواكيب التي كانت بها المقاهي ما زالت باقية لم تنقل بعد.

وبالجملة فحالة المسلمين تتشابه كثيراً في العادات والتقاليد والإبتداع، وقليل في كل بلد من يتبع السنة ويناصرها ويدعو لها ، فلطف الله بالجامعة الإسلامية التي تتدهور في الهاوية ولا منقذ ولا مجير إلا رحمة الله التي وسعت كل شيء ، فالظن بك يا إلهي جميل. فأبدلنا بكرمك وحلمك وكرامة بأنبيائك بهذا الذل عزاً ، ومن هذا الهوان رفعة وكمالاً ، يا من لا يرجى غيرك ، ولا يعول على سواك .

ثم عدنا إلى موقف السيارات وما زلنا نطالع واحدة بعد واحدة ونرجو أن يكون بها محل إذ الركاب لهم عدد لا يتجاوزونه. الساعة ٨:٥٠ تحركت بنا السيارة من بلدة الرملة مقابل ٣ قروش لكل راكب إلى يافا ولا شيء في طريقنا يستحق الذكر ، فوصلناها في الساعة ٩:٢٠ ومن فورنا توجهنا إلى لكوندة زهرة الشام الجميلة فبتنا ليلتا أسعد مبيت في راحة تامة أعدنا ما ألم بنا من تعب يومنا الذي لم نستقر فيه ساعة واحدة ، إذ كان كله حركة وتجوال وصعود وهبوط ومشي وركوب ، وأعجب ما في ذلك جلد العم محمود وصبره على هذه المتاعب واستسلامه لما

نريد ، إذ كان لا يعرف هذه المحلات ولا يرغب في الوصول إليها ، ولكنها الموافقة وواجب المرافقة والثقة يجعلان الإنسان يتبع صاحبه في كل ما يرضاه ويستحسنه. وقد كنا نشفق عليه كثيراً لأنه في العقد السابع من عمره والحق كان أكثرنا نشاطاً وقد كنت أداعبه بقولي (ابنك أبو زيد تعب من السير احمله على كتفيك.) فيجيبني: (أركب يا ابني وأنا أحملك ما تخفش.) أما وقد وصلنا يافا فدعني أحدثك عن اللوكندة، أولاً ثم عن الأخ الفاضل عبد الحليم عبد العليم .

عبد الحليم عبد العليم الرفيق :

وصلت فندق زهرة الشام فدعني أحدثك عن الظروف السعيدة التي جمعتنا بالشيخ عبد الحليم التاجر بيافا والعريش ، ولي أن أقول ظروف سعيدة وسفرة ميمونة جمعتنا بهذا الشاب الذي يتدفق لطفاً وكرماً وإنسانية كاملة ورجولة تامة، وهذا الشاب رافقنا من القدس إلى يافا وكان أكثر منا معرفة بالبلد وإن كان من العريش فله أعمال تجعله يتجول بين القدس ويافا والعريش ، فكان نعم الصديق ونعم الرفيق حيث غمرنا بكرمة وتضيحاته الكثيرة وتجوله معنا في مدينة يافا وما زلنا مدانين له بالشكر والتقدير لصنيعه.

محمود مرعي أبو سمرة :

وفي ليلتنا تعرفنا بالشيخ محمود مرعي أبو سمرة العريشي بواسطة الشيخ عبد الحليم ، وهذا الشاب كسابقه ولو أنه أمي ولكنه يدرك الكثير من شوؤن بلاده ويتكلم بلغة المطلع الخبير، وقد يخونه التعبير ولكنك تستطيع أن تدرك ما يريد من حماسه وإعجابه بنفسه ، وإن كانت هذه من صفات الفلسطينيين إذ كلهم يثقون بأنفسهم ويتمنون يوم الامتحان ، لا ترى عليهم علامات الجبن والخور ولا هم باليائسين ، وما زال هذا الشاب يسامرنا إلى وقت متأخر من الليل ، وفي الصباح الباكر دفع عنا رسم المبيت نحن الثلاثة فطوقنا بمكرمة لا ننساها ما ذكرنا فلسطين والفلسطينيين الكرام وما فتيء يفيض كرماً حتى غادرنا يافا ونحن أشد أسفاً على الفراق ولولا

استعجال كل من العم محمود والأخ أبو زيد لأقمنا بيافا أكثر من يوم واحد ولتمتعنا بالاجتماع بهم وبغيرهم من فضلاء يافا.

لكوندة زهرة الشام:

هي لكوندة جميلة تطل على الشارع العمومي وهي نظيفة والعناية بها تامة ولا ينقصها شيء من أسباب الراحة ، وصاحبها أحد أبطال الحركة السورية، ووالده من أغنياء سورية الشهيدة وقد أبلى بلاء حسناً في مناهضة الانتداب حتى حكم على صاحب اللكوندة بالإعدام ، مع مصادرة جميع أملاك والده الكثيرة من أراض وغيرها. وأخيراً أفرج عن هذا الرجل بعد طرده من سورية وهو يدير هذا الفندق على مضض وأنه يتمنى ويتوقع اليوم الذي تكون بلاده حرة طليقة لا سيطرة لأحد عليها. وقد ترى على سيماه روعة الغنى والنعمة لولا مسحة من الألم تطوف على جبينه اللامع الوضاء، وهو كثير المداعبة عليم بالملح والنكات الأدبية ، وقد سامرنا مع الصديقين تلك الليلة السعيدة لك الله يا نجيب وفي سبيل الوطن تحمل الألالم والأوجاع .

مدينة يافا القديمة :

في الصباح الباكر نزلنا من الفندق وجهتنا محطة السكة الحديد لنعلم ميعاد قيام القطار بناء على رغبة الأخ أبو زيد والعم محمود، وقد أراد عبد الحليم أفندي والأخ محمود أن يضللا الأخ والعم حتى لا نسافر هذا اليوم لرغبتهما في بقائنا يوماً آخر ، وكنت أوافق على هذا التأخير والخير فيما اختار الله. وما كنا نرى أن الليالي ستضع حملها في ذلك اليوم الرهيب الذي ستعلم من أمره بعد. فوصلنا السكة الحديد وعلمنا بأن القطار يقوم إلى اللد في الساعة ١٠:٢٠ فرأينا أن نطوف بالمدينة وقد تم ذلك وكان يرافقنا الأخ محمود مرعي في جميع تحركاتنا ، فإذا بالمدينة تشبه القدس في كثير من عاداتها ومبانيها ، غير أن الأرض هنا مستوية لا جبال ولا تلال ولا كهوف ولا مغارات ، وبعض شوارعها مرصوفة وبجانبها الأشجار المخضرة ، والمدينة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، غير أن شوارعها الكثير منها ضيق وأزقة يصعب السير فيها حيث تكثر الحركة والجلبة ، وللمدينة ميناء تقف به البواخر

الكبيرة للشحن والتفريغ والمباني التي على الشاطئ من الطراز القديم والكثير منها كريهة المنظر وفي ناحية تماثل مصر ، وفي هذه المدينة تلاحظ الذوق وبعض العادات المصرية، بينما تشاهد في القدس العادات والتقاليد التركية أكثر شيوعاً ، وبالجملة فالمدينة عامرة بالمتاجر وبها كثير من الحدائق الجميلة ، وبعد أن طفنا على الكثير من النواحي رأينا أن نطل على تل أبيب .

تل أبيب أو المستعمرة اليهودية :

تل أبيب وما أدراك ما تل أبيب ، لك أن تسميها المدينة الجديدة وهي بحق مدينة جديدة إذ كل ما فيها جديد سكانها جدد ومبانيها جديدة وأشجارها جديدة.

وصلنا إلى تل أبيب بواسطة (البص) مقابل خمس مليمات للراكب وهذا البص العربي لا يتعدى حد يافا ، وكما أن البص اليهودي لا يتعدى تل أبيب وأن العربي لا يركب هذا كما أن اليهودي لا يركب ذاك. فلما وصلنا الحد الفاصل مشينا راجلين.

المدينة تقع شمال يافا وكل ما فيها ملفت للنظر، وقد كان يوماً مروعاً. يوم السبت يوم عيد اليهود ، وهو المعبر عنه (أفلس من يهودي يوم السبت). ففي هذا اليوم تعطل جميع المتاجر حتى سائقي البصات، والكل يعيد. وبما أنهم فى موقف تزاحم وتطاحن فإنهم يقدسون طقوسهم وأعيادهم حتى يقال إنهم أمة لها قوميتها ولها كينونتها ولها كرامتها تستحق أن تقرر مصيرها وتتبوأ مقعدها تحت قبة السماء أسوة ببني آدم ولا عبرة بمناهضة ألمانيا النازية واحتقارها لهم أينما حلّوا وتشريدهم أين ما كانوا. وللدراهم فعلتها في الحكومات كما لها فعلتها في الأفراد، ولولا الدراهم لما أريقت الدماء الطاهرة البريئة ولولا الدراهم لما اغتصب حق الضعيف وجعل طعام الضعيف للقوي. فيا رحمة الله تنزلي على المستضعفين الذين لا معين لهم ولا نصير إلا أنت يا حليم .

فما زلنا نمر بين المباني والفيلات الفاخرة والقصورة الشاهقة وناطحات السحاب، أما الشوارع فجميعها مرصوفة بالحجارة والأسفلت ولك أن تعلم أنها وضعت على آخر نظام هندسي ، وقد كانت هذه الأرض قفراً لا نبات فيها ولا شجر ولا ثمر ، فإذا بهم يأخذون منها قطعة وراء قطعة بضروب من الإغراء يساعدهم فقر العرب وشقاء العرب وطغام العرب الذين مالوا إلى المدنية الكاذبة التي تخرب البيوت وتدك المجد التالد. وما زالوا ينفقون القناطير المقنطرة من الذهب والفضة حتى استولوا على هذه المدينة الزاهرة وأسسوا وبنوا ما شاءوا أن يبنوا وقد تنبه أحرار العرب بعد خراب العرب وتنمر الوافد الطريد، وهم يتحفزون من وقت لآخر ويهاجمون مهاجمة المعتد بنفسه المحتقر لخصمه، لولا اليد التي تسنده ولولا الأصفر الرنان ، لما وجد لهذا الطريد أثر بين ظهراني العرب الأحرار ، ولكنها الأيام تفعل ما تشاء وللدهر حكمه وللتأريخ عدله.

وبالجملة فإن المدينة منسقة تنسيقاً بديعاً وإن سكانها يكثر عددهم من وقت لآخر لفتح باب الهجرة إلى هذه البلاد ولا تسأل عن تذمر العرب والمسيحيين العرب أيضاً واستيائهم من تكاثر اليهود بفلسطين عموماً وبالقدس خصوصاً ، وهذه المدينة الحديثة العهد تكاد تكون في وسع يافا وعمرانها ، بل أجمل منها حيث كل المباني بالخرصانة المسلحة والأسمنت المسلح، وليست هذه البلدة كل ما يملك اليهود الوافدين. علاوة عليها يملكون الأراضي الزراعية الواسعة الصالحة التربة الكثيرة الغلة. فقد كانوا ولا زالوا يأخذون قطعة الأرض التي تساوي في غير هذا الوقت ١٠٠ من الجنيهات ب ٥٠٠ جنيه و٧٠٠جنيه وربما أوصلوها ١٠٠٠جنيه ، وهم الرابحون ، وهذا السخاء هو الذي مكنهم من شراء الأراضي، ولكن هل تطيب الإقامة بهذه البلدة ويحلو السكن ، أم العيش بها مر والعين ساهرة ، والحوادث تهدد من وقت لآخر والأمن مزعزع والحياة مهددة ، وكل شيء بغيض كرية حيث لا راحة ولا هناء ، رحم الله خير الدين الزركلي حيث يقول :

لا يستتيم على الضغينة معشر ... حبل الخصومة بينهم موصول
إن عولج الجسم العليل وداؤه فيه ... فسوف يعود وهو عليل
لا تسلم الأجسام وهي صيحيحة ... ما لم ترق الداء وهو دخيل.

ولما كان يوم مرورنا يوم السبت ويوم السبت هو يوم اليهود ، فإننا لم نشاهد حوانيتهم ومتاجرهم ، إذ المدينة هادئة ساكنة وحركة المرور معطلة بعض الشيء وفي أثناء مرورنا جئنا على عمارة لم يتم بناؤها بعد وجزء منها مسكون، وبجانب العمارة حوض به ماء ، فما كان من غلام صغير إلا أن قذف حجراً على الحوض الذي كنا بالقرب منه، ولعله كان يقصد تلويث ثيابنا جراً للشكل وفتحاً لباب الضرب والقتل . ولما انتبهنا لفعلته وصرنا نرمقه بأعيننا لم يستطع الاستمرار في القذف.

وقد قال لنا صاحبنا محمود مرعي ، هذا شأنهم معنا يتذرعون بمثل هذه الأسباب ، فقلنا له "ما أجهله نحن أغراب ولا شيء لنا معهم"، فقال: "هم ينظرون إلى هذا (العقال) الذي يعلو رأسي ، ولكنى لا أخشاهم قط، وهم يخشون منا ويخافون خوف الأطفال، لحبهم الحياة وطمعهم في البقاء، ونحن كما تعلمون لا طمع لنا إلا فيما عند الله وفي وسع العربي الواحد أن يقابل عشرين رجلاً منهم، ولنا معهم مواقف سيسجلها التاريخ والعاقبة للمتقين".

ولليهود حمامات على شاطئ البحر عند محاذاة تل أبيب ولا يجرؤ يهودي على السير بحي العرب مهما كان شجاعاً ومهما كان مسلحاً، إلا إذا كانوا جماعة ، وقد شاهدنا ثلة من الصبيان في لباس الكشافة تسير في طريقها إلى يافا ولعلهم في رحلة خلوية.

ولما أعيانا التجوال جنحنا إلى مقهى ورشفنا الشاي اليافوي ، ولكننا لم نجد البطيخ اليافوي الذي يضرب به المثل ، وبعد أن ارتحنا وحان وقت قيام القطار قصدنا السكة الحديد لصرف التذاكر من يافا إلى مصر بمبلغ ١١٠ لكل راكب. وفي الساعة ١٠:٢٠ تحرك القطار فإذا به يخترق مدينة تل أبيب الواسعة ، وبعد ١٥ دقيقة من قيامه استطاع أن يقطع المدينة ، ولك أن تقدر هذه المسافة لعرضها إذا كان ما قطعناه الطول. واندفع القطار في سيره السريع ونحن نشاهد حقول البرتقال وأشجار

الزيتون وغيرها ، كما نشاهد حقول القمح والمزارع الواسعة لأن الأرض بهذا الطريق مسطحة لا تلال ولا جبال ، إنما هي مناظر جذابة والمزارع بها الآت لسقي الحقول، حتى وصلنا محطة اللد بسلام، وهي خط الاتصال، ومنها امتطينا قطار مصر المحروسة فقطعنا يومنا سيراً سريعاً ، وفي الساعة العاشرة ليلاً وصلناها ، وإلى هنا انتهت الرحلة وسأعقبها بنظرة عامة أذكر فيها ما فاتني .



رحلة مصر

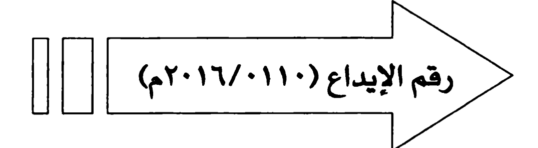
في الساعة ٨ صباح يوم السبت ١٤ فبراير تحرك بنا القطار من الخرطوم
العموس [illegible] وجهتنا حلفا ففي [illegible] السيد [illegible] جعفر احمد
افندي محمد موسى المستخدم بالمالية بحكومة السودان فكان
من محاسن الصدف التي انشرح لها غرضي وعليه اقول فاله
أنعم قبل أوانه وهو عازم على زيارة القدس الشريف
وبعد [illegible] والرد علمت انه [illegible] الاصل سوداني
التربية فاتفقنا على النزول سويا في [illegible] الانتقال
وانساب القطار يقطع الفيافي والقفار بسرعة [illegible]
في الساعة [illegible] لا يلفت النظر سوى مدينة شندي تلك
المدينة الرائعة ذات المنظر الجذاب الذي يدل على نظافتها
ثم عطبرة [illegible] العامرة [illegible] مترامية الاطراف لا تقل
سعة عن المدن الكبيرة وانها مطلوبة بجمالها من
المديرية وتتلوها مدينة العابدية وانك لتنظر الجزيرة
وهي محفوظة من كل نواحيها فتوحي اليك ملكات الشعور والخيال
وتعطيك صورة للجد والاجتهاد [illegible] القديم [illegible]
اليك منظر النواعير السواقي البلدية يجرها الثور
وخلفه صبي يحثه على المضي
ويلاحظ ان اثار دلائل الخصب بادية على هذه النواحي
وقد بدأنا نلاحظ شجر الدوم بكثرة تلفت النظر وبعد
قليل نشاهد منظر الاراضي الزراعية بالخضرة [illegible] وكيف
انساب الماء بين الاحجار انه لمنظر بهيج جذاب [illegible]

هذه هي الصفحة الأولى من مخطوطة الشيخ عبد الله محمد في رحلته إلى القدس الشريف ١٩٣٦م

نسير في طريقنا الى يافا ولعلنا في رحلة [illegible]
ولما اعيانا التجول جنحنا الى مقهى رشفنا الشاي
اليافاوي ولكننا لم نجد التشطيب اليافاوي الذي
يضرب به المثل وبعد ان ارتحنا وحان وقت قيام
القطار قصدنا السكة الحديد لنعرف الثمن الرسمي من يافا
الى مصر بمبلغ ١١٠ لكل راكب وفي الساعة تحرك
القطار فاذا به يخترق مدينة تل ابيب الواسعة
وبعد ١٥ دقيقة من قيامه استطاع ان يقطع
المدينة ولك ان تقدر هذه المسافة لعرضها اذ
كان ما قطعناه الطول واندفع القطار في سيره
السريع ونحن نشاهد حقول البرتقال واشجار
الزيتون وغيرها كما نشاهد حقول القمح والذرة
الواسعة لان الارض في هذا الطريق مسطحة لا تلال
ولا جبال انما هي مناظر جذابة والآن تسقى
الحقول حتى وصلنا محطة اللد بسلام وهي خط
الاتصال وفيها امتطينا قطار مصر المحروسة
فقطعنا يومنا سيراً سريعاً وفي الساعة العاشرة
ليلاً وصلناها والى هنا انتهت الرحلة وسأعقبها بذكر
تمامه اذكر فيها ما فاتني .

هذه هي الصفحة الأخيرة من مخطوطة الشيخ عبد الله محمد في رحلته إلى القدس الشريف ١٩٣٦م

الفهرس



رقم الإيداع (٢٠١٦/٠١١٠م)